جهـود الشيـخ الأكـبر مصطفى عبد الرازق

في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفكر الإسلامي

إعداد الدكتور

محمد أحمد سالم محمد

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية البنات الأزهرية

طيبة الجديدة (الأقصر)، جامعة الأزهر

جهود الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفكر الإسلامي

محمد أحمد سالم محمد

قسم العقيدة والفلسفة، كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة الأقصر، جامعة الأزهر ، مصر

البريد الإلكتروني: m.ahmedsalim75@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز جهود الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق في الرد على المستشرقين، الذين غلب على كثير منهم طابع التعصب الدينى أو التعصب الجنسى فراحوا جاهدين بسببه يحاولون نفى الأصالة الإسلامية عن كل إنتاج عقلي أو تفكير فلسفي أو تأمل روحى لدى المسلمين، مدعين انه لا دخل للدين الإسلامي في نشأته، وكأن المسلمين ليسوا من البشر وليس لهم من الخصائص العقلية والتأملات الروحية ما لغيرهم من الشعوب الأخرى، ويهدف البحث كذلك إلى بيان أصالة الفكر الإسلامي وبيان شعبه واتجاهاته كما فهمها الشيخ مصطفى عبد الرازق والتي كان لها أكبر الأثر في تلاميذه من بعده وقد اتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطى المقارن، بالإضافة إلى المنهج العلمى المتبع في الأبحاث العلمية، ومن أهم النتائج: أن الشيخ بنى منهجه على قرع الحجة بالحجة متخذًا من العلم وأدلته سبيلا للنقاش والاقناع، وأن الشيخ وضع لنفسه خطة منهجية دقيقة تهدف إلى: الدفاع عن العقلية العربية ضد النظريات المتعصبة للجنس والهُوية، تقويم آراء المستشرقين وتصحيح الأخطاء الواردة في كتاباتهم وذلك بعد ترجمتها والتعليق عليها، مناقشة قضايا الفلسفة الإسلامية بداية من مشكلة التسمية وتحديد مباحثها ونهاية بالحكم على نتاجها الفكرى للكشف عن مدى أصالتها ومساهمتها في تطور الحضارة الإنسانية، أن العوامل الأجنبية المؤثرة في الفكر الإسلامي وتطوره، مهما يكن من شأنها فهى أحداث طارئة عليه صادفته شيئًا قائمًا بنفسه، فاتصلت به لم تخلقه من عدم، وكان بينهما تمازج أو تدافع، لكنها على كل حال لم تمح جوهره محوًا، وإذا كان غير منكور أن التصوف في هذا الدور لم يخل من تأثر

ببعض ما وصل المسلمين من معارف الأمم القديمة، فإننا لا نـــزال نجد الصبغة الإسلامية غالبة في هذا العلم الوليد، أن مباحث التفكير الفلســفي في الإســلام نتلمس في علم أصــول الفقه وأصــول الحديث وعلم الكلام والتصوف

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الفلســفة، الدين، الأصــالة ، التقليد، التصــوف ، أصــول الفقه، أصول الحديث، علم الكلام ، الاستشراق.

The Efforts of the Grand Imam Sheikh Mustafa Abdelrazek in responding to the Orientalists and demonstrating the Originality of Islamic Thought

By: Mohamed Ahmed Salem Mohamed
Department of Islamic Creed and Philosophy
College of Azhari Women in New Taiba, Luxor
Azhar University, Egypt
Email: m.ahmedsalim75@azhar.edu.eg

Abstract:

This research paper aims at displaying the efforts of Sheikh Mustafa Abdelrazek in responding to the Orientalists. Many of those orientalists were characterized by religious or sexual fanaticism. Consequently, they tried hard to denounce the Islamic authenticity of every intellectual product, philosophical thought, or spiritual contemplation among Muslims, claiming that the Islamic religion had nothing to do with its origin. Doing so, the orientalists looked at Muslims as if were not human beings and they lacked the mental characteristics and spiritual contemplations which other peoples have. The research paper also highlights the originality of Islamic thought showing its divisions and trends, as understood by Sheikh Mustafa Abdelrazek, and they had their greatest impact on his students afterwards. The research paper has applied the inductive, deductive and comparative approaches as well as the academic approach of scientific research. The research paper has concluded with the most important findings. For example, Sheikh Mustafa Abdelrazek established his approach upon the basis of utilizing suitable clues in response to any argument relying on his rich knowledge of the Islamic sciences and their evidence as helpful means for discussion and persuasion. Moreover, Sheikh Mustafa Abdelrazek has set, for himself, a precise methodological plan to defend the Arab mentality against gender or identity biased theories, and to evaluate the views of the orientalists, correct the errors contained in their writings after translating them as well as commenting on them. Sheikh Abdelrazek has also discussed

the issues of Islamic philosophy starting from the issue of naming it, specifying its research requirements, and ending with judging its intellectual output to find out how far it is original and to what extent it has contributed to the development of human civilization. The research has also specified the foreign factors that have influenced the Islamic thought and its development. Regardless of their significance, those factors remain incidental events that happened to our Islamic philosophy as an independent science so that they were linked to it in an influential way. Despite acceptance or resentment, foreign influences have not come over the essence of the Islamic thought. However it is undeniable that mysticism in such a phase was not devoid of the influence of ancient nations which Muslims had gone through, we still find the Islamic character in this rising science. The research paper has also drawn attention to tracing the requirements of philosophical thought in Islam in the principles of Islamic jurisprudence, the principles of Hadith, theology and mysticism.

Keywords: creed, Philosophy, religion, originality, imitation, mysticism, Principles of jurisprudence, Principles of Hadith, theology, orientalism.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).(١)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).(٢)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا).(٣)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد – صلى الله عليه وسلم –، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.(٤)

---

(١)) سورة آل عمران آية [١٠٢]

(٢)) سورة النساء آية [١]

(٣)) سورة الأحزاب آيات [٧٠-٧١]

(٤) صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ص٢٩١ حديث رقم ٨٦٧ عن جابر بن عبد الله ط مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة الطبعة الأولى ٢٠١٠م ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي. - صحيح ابن حبان جـ١ ص١٨٧ حديث رقم ١٠ ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤١٤هـ، شعيب الأرناؤوط.

=

وبعد:

فقد تطلبت حكمة الله ﷻ أن تكون الحياة الدنيا صراعًا دائمًا بين الأخيار والأشرار، ونزاعًا موصولًا بين الأبرار والفجار، قال الله ﷻ:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] فالله ﷻ بين في هذه الآية الكريمة " بعض مظاهر فضله على عباده فقال: وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ. أي: ولولا أن الله- تعالى- يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد في الأرض. فلولا في الجملة الكريمة حرف امتناع لوجود. أي: امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض فالجملة الكريمة تأمر الأخيار في كل زمان ومكان أن يقفوا في وجوه الأشرار، وأن يقاوموهم بكل وسيلة من شأنها أن تحول بينهم وبين الفساد والطغيان"[2].

وفى سورة التوبة يقول ربنا ﷻ :﴿ وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3] " هذه الآية جاءت

- سنن ابن ماجه جـ١ ص١٨ حديث رقم ٤٥ ماجه ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.

- مسند أبى يعلى الموصلي جـ٤ ص٨٦ حديث رقم ٢١١١ ط دار المأمون للتراث ط الأولى ١٤٠٤ه تحقيق حسن سليم أسد.

(١) سورة البقرة آية (٢٥١).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق ج١ ص (٥٧٤) ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى يناير ١٩٩٧.

(٣) سورة التوبة آية (١٢٢).

متممة لأحكام الجهاد مع بيان حكم العلم والتفقه في الدين من قبل أنه وسيلة للجهاد بالحجة والبرهان، وهو الركن الركين في الدعوة إلى الإيمان وإقامة دعائم الإسلام، ولم يشرع جهاد السيف إلا ليكون حماية وسياجا لتلك الدعوة من أن تلعب بها أيدى المعتدين من الكافرين والمنافقين.. وفى الآية إشارة إلى وجوب التفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذي تصلح به حالهم فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها، والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد لهم عند الله من سامي المراتب ما لا يقل في الدرجة عن المجاهد بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله والذود عن الدين والملة، بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع واجبا عينيا على كل شخص."[١].

فالجهاد بالعلم والكلمة والفكر لا يقل عن الجهاد بالسيف والسلاح لأن حرب الكلمة والفكر أشد خطرًا وأعظم أثرًا ،وقد تعرض الإسلام لهذه الحرب منذ ظهوره وإلى الآن، ولا يزال الصراع قائمًا بين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وبين الذين أن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلًا وقد قيض الله للإسلام رجالًا أوفياء أمناء دافعوا عنه قال الله ﷻ في حقهم:﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[٢] من هؤلاء الرجال الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي كان له جهد غير مسبوق في نفى التقليد وإثبات الاصالة للفكر الإسلامي. فهو يعد بحق مجدد للفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، وصاحب أول تاريخ لها بالعربية، ومؤسس المدرسة الفلسفية العربية، من خلال إلقاء الضوء على تطور الفكر الفلسفي الإسلامي، موضحًا روافده ومنابعه ومحددًا مباحث الفلسفة

(١) تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ج ١١ ص (٤٧-٤٨) ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٢) سورة الأحزاب آية (٢٣).

الإسلامية والأطوار التي مرت بها ومقومًا آراء المستشرقين حيال الفكر الإسلامي، لقد بذل الشيخ جهدًا كبيرًا في دفع حملات المستشرقين للنيل من الإسلام، فقد غلب على أكثرهم طابع التعصب الذي يحاولون بسببه جاهدين نفى الأصالة الإسلامية عن كل إنتاج عقلي أو تفكير فلسفي أو تأمل روحي لدى المسلمين. مدعين انه لا دخل للدين الإسلامي في نشأته، فالفلسفة الإسلامية في نظر هؤلاء ما هي إلا ترديد للفلسفة اليونانية أو بعبارة أخرى هي فلسفة يونانية ولكنها مكتوبة بأحرف عربية، والشريعة الإسلامية ما هي إلا القانون الروماني القديم. والتصوف الإسلامي ما هو إلا تعاليم وعقائد وآداب اليونان، والفرس والهنود والنصارى. وكأن المسلمين ليسوا من البشر وليس لهم من الخصائص العقلية والتأملات الروحية ما لغيرهم من الشعوب الأخرى.

لذلك استخرت الله ﷻ وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع الهام، وهو بيان جهود الشيخ في إثبات أصالة الفكر الإسلامي ورد شبه المستشرقين فكان عنوان البحث: (جهود الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفكر الإسلامي).

وكان منهجي في البحث كالآتي:

أولا: اتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي المقارن، والمنهج التحليلي في معالجتي لقضايا البحث بالإضافة إلى المنهج العلمي المتبع في الأبحاث العلمية.

ثانيا: قمت بتوثيق النصوص من مصادرها الأصلية، وعزوت كل قول إلى قائله وكل رأى إلى صاحبه.

ثالثا: أرجع إلى كتب اللغة والمعاجم لشرح معاني الكلمات الغريبة التي ترد في أثناء البحث إن استدعى الأمر ذلك.

رابعا: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم السورة، ورجعت إلى كتب الحديث الشريف لتخريج الأحاديث التي يرد ذكرها في أثناء البحث.

خامسا: ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع الى اعتمدت عليها في كتابته، ثم فهرس للموضوعات التي احتواها.

وقد كانت خطة البحث كالآتي: قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع ومنهجي في البحث وخطة البحث.

التمهيد: في التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق.

المبحث الأول: رأى المستشرقين في حقيقة الإسلام وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق منه.

المبحث الثاني: هجوم المستشرقين على الشريعة الإسلامية وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق منه.

المبحث الثالث: هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه.

أما الخاتمة فتشتمل على أهم نتائج البحث.

التمهيد

في التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق (١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٤٦ م)

هو مصطفى بن حسن بن أحمد عَبْد الرازق: باحث في الشريعة والأدب. كان وزيرا للأوقاف، ثم شيخا للأزهر. من اسرة (عبد الرازق) المعروفة في (أبي جرج) من قرى (المنيا) بمصر.

ولد بها، وتخرج بالأزهر، وتتلمذ للشيخ محمد عبده، وأكمل دراسته في باريس وليون.

وانتدب لتدريس مباحث إسلامية في ليون، فوضع رسالة عن (الإمام الشافعيّ - ط).

وعاد إلى القاهرة سنة ١٩١٦ فعين سكرتيرا عاما لمجلس الأزهر، فمفتشا بالمحاكم الشرعية، فأستاذا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب. وأسندت اليه وزارة الأوقاف (سنة ١٩٣٨) ثم عين شيخا للجامع الأزهر (سنة ١٩٤٥) واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. كان هادئ الطبع، يتمهل في تفكيره قبل أن يتكلم أو يكتب، وقورا، مع التواضع، يستجم لبعض أنسه ولا يتبذل، نقي الأسلوب في بيانه، نير الفكر محاضرا وكاتبا، يحاسب نفسه على الكلمة، قال الدكتور طه حسين: (كان مصطفى أديبا مقلا، وعالما مقلا، ورب قليل خير من كثير) . من كتبه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية - ط) و (فيلسوف العرب والمعلم الثاني - ط) في سيرة الكندي والفارابيّ، و (الدين والوحي والإسلام - ط) و (البهاء زهير - ط) في ترجمته وشعره، و (محمد عبده - ط) سيرته، و (مذكرات مسافر) و (مذكرات مقيم) نشرهما في الصحف تباعا. وساعد برنار ميشيل في ترجمة (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية، وفي وضع كتاب بالفرنسية عن (محمد عبده) . وله كتب لم تنشر، منها كتاب في (المنطق) وكتاب في (التصوف) و (فصول في الأدب) تقع في مجلدين كبيرين، و (مذكراته اليومية - خ) مهيأة للطبع، نشر شيئا منها في بعض الصحف بتوقيع (الشيخ الفزاري) . وكان من أعضاء المجمعين العلمي العربيّ والعلمي المصري[١].

(١) الأعلام خير الدين الزركلي ج ٧ ص٢٣١ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

هذا ما كتبه خير الدين الزركلي عند ترجمته للشيخ مصطفى عبد الرازق.

وتحت عنوان أهم حادث أثر في مجرى حياتي كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق متحدثًا عن نقطة التحول في حياته فقال:" من قبل أن تسألني مجلة الهلال عن أهم حادث أثر في مجرى حياتي، لم أكن ألقيت هذا السؤال على نفسي، وما كنت لأتصور أن حادثًا من أحداث الزمن يستطيع أن يؤثر في مجرى الحياة.

وقد كنت شيخًا من شيوخ الأزهر، أحمل شهادته، وألقى الدروس فيه، وألقى دروسًا في مدرسة القضاء الشرعي، ثم استقلت من مدرسة القضاء الشرعي، وتركت الأزهر، وذهبت إلى أوروبا أطلب العلم هناك.

ولقد اشتعلت الحرب العالمية فاضطررت إلى العودة إلى مصر قبل أن أنال الشهادة التي كنت منها قاب قوسين أو أدنى.

وعينت سكرتيرًا لمجلس الأزهر الأعلى، ثم نقلت مفتشًا في المحاكم الشرعية، وانتهى بي الأمر إلى التدريس في الجامعة المصرية. كل ذلك مر بي في الحياة مقترنًا بحوادث قد تستطيع ذاكرتي ان تستعيدها، ولكن الحياة عندي هي شيء وراء هذه الظواهر، ومجرى الحياة الذي توجهنا فيه طبائعنا ووراثاتنا وتفكيراتنا أرسخ من أن يغيره حادث طارئ مهما كان كبيرًا.

ولكنني وعدت الأستاذ محرر الهلال بأن اكتب إليه جوابًا عن سؤاله، وهو لا يزال يستنجزني الوفاء بما وعدت، فلأرجعن إذًا إلى عهد الشباب الأول فقد يكون في أحداثه ما يصلح على وجه ما جوابًا لما سئلت عنه.

كنت طالبًا أزهريًا شديد الحياء، منصرفًا بكليتي إلى دراستي، وتأثرت في أول الأمر بأشد الأواسط الأزهرية رجعية وجمودًا، ثم اتصلت بالشيخ محمد عبده فتأثرت بدروسه وآرائه، واصطدمت في نفسي تلك اليقظة الفكرية التي بثها هذا الإمام في عقول تلاميذه بما كنا نتلقى عن

شيوخ لم ترضنا معارفهم ولا مذاهبهم، ولكن لهم في نفوسنا- على كل حال- حبًا وإجلالًا.

كنت يومئذ شـابًا تتفتق عنه غلائل الطفولة، ولم تكن بنيي قوية، ولا أعصـابي متينة، من أثر الجهد المضنى في دراسة غير منظمة، فعراني سأم من الدراسة في الأزهر ومن الحياة الأزهرية كلها، واشتد هذا السأم حتى صار ألمًا ملازمًا، ونقصًا عميقًا، خشيت أن يخرجني إلى غير لائق بالسداد، وكانت طبيعة الحياء تعوقني في ذلك الوقت عن أن أبث ما بي إلى أحد.

ثم رأيت أن اكتب إلى الأستاذ الشيخ عبده كتابًا أضمنه ما تنطوي عليه نفسي من ألم، وهتفت بالشيخ أن ينقذني منه.

وقد نشـرت مجلة المنار في العدد الخامس من المجلد الثامن في صـفحة ٢٠٠ بتاريخ ٦ مايو ١٩٠٥ هذا الكتاب ونصه:

" إني نظرت في أمري بعد أن قضـيت ما قضـيت في الجامع الأزهر، وأضـعت ما أضـعت من صحتي وشبابي في طلب العلم، فلم أجد ثمنًا لما بذلت إلا حشدًا من الصور والخيالات لا يضئ البصيرة، ولا يبعث العزيمة، ولا يعد للسعادة في الدنيا والآخرة.

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت ... منى بعلمي الذي أعطت وتجربى.

طلبت السبيل إلى الكمال والعلم النافع، فما وجدت الدليل، ولا اهتديت إلى السبيل، وكيف أطلب الخير من بين معشر – أعيذك يا مولاي – كلهم شر!.

وقد هدتني إليك خاتمة المطاف، وفاتحة الألطاف، فجئتك أسألك أن تعلمني مما علمك الله، وأن لا تكلني إلى رأيي.

وهأنذا أبسط يد الرجاء إليك، ولم أبسط لغيرك يدًا، وأرفع إليك أمنيتي في الحياة، وقد وضعت أملى ببابك، ومثلك من لا يخيب ببابه الأمل.

كنت كتبت خطابي إلى الأستاذ ولم أشعر به أحدًا، وعلى أثره جاء الأستاذ إلى دارنا ودعاني

إليه، فلم يزل يطيب نفسي بأنه مر بمثل هذه الحالة في أيام دراسته، وأنه يرى فيها مخايل يمدحها ولا يذمها، ثم نصح لي بأن أستمر على دروس الأزهر حتى أنال الشهادة، على أن يتولى الأستاذ هدايتي إلى مطالعات في غير أوقات الدراسة، وخصني يومئذ من العطف والتشجيع، بما بدل يأسي أملًا، وأحال سآمتي عزمًا ونشاطًا.

وكثيرًا ما جاشت إليَّ النفس في غمرات الحياة، فكنت أستمد العزم والصبر من حديث الأستاذ الإمام في ذلك المجلس، ومما كتبه إلى بعد ذلك في خطاب:

لك عندي خالص الدعاء أن يمتعني الله من نهايتك بما تفرسته في بدايتك، وأن يخلص للحق سرك، ويقدرك على الهداية إليه، وينشط بنفسك لجمع قومك عليه، والسلام"[١]

وتحت عنوان مصطفى عبد الرازق كما عرفته كتب صديقه الدكتور طه حسين:" وقد لقيت منه شابًا حارّ الصوت، صادق اللهجة، عذب الحديث، لا يرفع صوته إلا بمقدار، وكان قليل الحركة، معتدل النشاط، يمتاز من رفاقه أولئك بهذا الوقار الهادئ المطمئن الذي لا يتسم به الشباب عادة، وإنما هو سمة الشيوخ ومن يجرى مجراهم من الذين تقدمت بهم السن، وكان جمّ الأدب، موفور التواضع، لا يتجاوز القصد في قول أو عمل، يفرض عليه طبعه ذلك، ويفرضه هو على الذين يجالسهم أو يتحدث إليهم..... وكان لا يعرف محبًّا لطلب العلم مخلصًا في هذا الحب إلا سعى إليه واتصل به وقربه منه وفتح له قلبه وعقله وداره أيضًا.... وإذا كان حب العلم وطلابه المخلصين هي الخصلة الأولى من الخصال التي لزمته حياته كلها، فخصلة الوفاء هي الخصلة الثانية من خصاله. فقد عرفته محبًّا للعلم وطلابه كأشد ما يكون الحب وأصدقه وأعمقه،

(١) أهم حادث أثر في مجرى حياتي مصطفى عبدالرازق مقال في مجلة الهلال ع٦،٤/ ١٩٣٠م ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٢ص (٢٦٧-٢٦٩) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩م.

يسعى إليهم ويقربهم منه ويؤثرهم بالخير وينزلهم من نفسه مكانة الصديق؛ وعرفته كذلك وفيًّا لكل من أحب من الناس لا يفرق بينهم في ذلك مهما تكن الظروف ومهما يبعد بهم الزمان والمكان ومهما تلم الأحداث وتدلهم الخطوب..... والبر بطلاب العلم خاصة، وبكل من كان يحتاج إلى البر عامة، كان الخصلة الثالثة من خصال مصطفى عبد الرازق ، فلم أعرف قط قلبًا أبر بفقير، ولا نفسًا أرق لذى حاجة، ولا يدًا أسرع إلى العطاء، من قلب مصطفى عبد الرازق ونفسه ويده...كان وفيًّا وكان أبيًّا وكان برًّا وكان سمح الطبع والنفس والقلب، لم أره قط يخرج عن هذه الخصال منذ عرفته إلى أن فرق بيننا الموت، وكان لهذه الخصال كلها تأثير أي تأثير في حديثه إذا تكلم، وفى فنه إذا كتب، وأقرأ ما شئت من فصول هذا الكتاب[1]: ما كتبه منها أيام شبابه الأول، وما كتبه منها بعد أن تقدمت به السن، ما كتبه منها حين كانت الأيام هينة لينة، وما كتبه منها حين كانت الأيام شدادًا ثقالًا. لم يكن شيء قادرًا على أن يغير من خصاله تلك شيئًا. كان سمحًا في جميع أطواره وفى أطوار من حوله من الناس وما يحيط به من الظروف. كانت الابتسامة الحلوة أدل شيء عليه، والحديث العذب ألزم شيء له. وكان يضيف إلى خصاله هذه خصلة أخرى إذا كتب، وهي خصلة العناية الدقيقة جدًا بالتفكير أولا وبالتعبير بعد ذلك عما فكر فيه. كان لا يكره شيئًا كما كان يكره العجلة في القول والعمل والمشي أيضًا. كان شديد الإيثار للأناة .....

وكان لهذه الأناة أثرها في كتابته، فأنت لا تجد فيما يكتب معنى نافرًا أو فجًّا لم يتم نضجه قبل

(١) يقصد كتاب من آثار مصطفى عبد الرازق صدرها بنبذه عن تاريخ حياته شقيقه على عبد الرازق ومقدمة بقلم طه حسين ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق الجزء الرابع تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة طبع بمطابع دار المعارف.

أن يعرب عنه"[١].

توفى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق في الخامس عشر من شهر فبراير من عام ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين من الميلاد.

فنحن أمام شخصية فريدة اتسمت بكل سمات الجد والنشاط حباه الله بعقل راجح وعلم نافع، فملامح الشخصية تدل على ان لها دور بارز في الإصلاح متأثرًا بشيخه الذي كان له عظيم الأثر في حياته، فاتصاله بالشيخ محمد عبده كان هو أهم حادث أثر في مجرى حياته، على حد تعبيره هو.

ذلكم هو الشيخ مصطفى عبد الرازق إمام في خُلقه، إمام في دينه، إمام في علمه، إمام في أدبه، رحمه الله رحمة واسعة.

(١) مقدمة بقلم طه حسين لكتاب من آثار مصطفى عبد الرازق صدرها بنبذه عن تاريخ حياته شقيقه على عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ص(ز- م) بتصرف تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة طبع بمطابع دار المعارف .

المبحث الأول

رأى المستشرقين في حقيقة الإسلام وموقف الشيخ منه

لقد سلك الشيخ مصطفى عبد الرازق مسلكًا رشيدًا في الرد على دعاوى المستشرقين بناه على قرع الحجة بالحجة دون تعصب أو تشكك متخذًا من العلم وأدلته سبيلا للنقاش والاقناع. وأبدأ جهود الشيخ في رده على المستشرقين بمسألة تتعلق بجوهر الإسلام نفسه وهى مفهومه وحقيقته فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن الإسلام يعنى الطاعة والخضوع و الاستسلام بطريقة لاإرادية تفرض نفسها على الإنسان فيخضع لإرادة قاهرة دون حرية واختياراً فخضوعه لها عن طريق التبعية والقهر لا على سبيل الحرية والاختيار وفى هذا المعنى يقول الشيخ "أما المحدثون: فجمهرة المستشرقين منهم ترى أن اسم (إسلام) يرجع إلى معنى من الطاعة والخضوع غير إرادي؛ أي التسخير لإرادة قاهرة"[١] معنى ذلك أن الإسلام "مجرد إيمان لا شعوري يفرض نفسه على المرء وله من القوة بحيث يبعث على الاعتقاد في شيء ما دون أن يعتمد هذا الاعتقاد على أي برهان أو دليل"[٢]

ويعرض الشيخ لطائفة من أقول هؤلاء فيقول:" يقول (جولد صيهر)[٣] إسلام بمعنى خضوع؛ أي خضوع المؤمن لله، وهذه الكلمة، التي هي أوفى من كل كلمة غيرها في تعيين المنزلة التي جعلها

---

(١) الدين والوحي والإسلام الرازق ص٦٤ ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م .

(٢) مقومات الإسلام لشيخ الأزهر الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ص ١٢ هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٤٢هـ مايو/ يونيو ٢٠٢١م.

(٣) جولد صهير المجرى تخرج بالغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست وبرلين وليدن، ولما نبه ذكره عين أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست، زار عدداً من بلاد الشرق مثل سوريا وفلسطين ومصر وله مؤلفات عن الإسلام وفقهه والأدب العربي من أشهرها العقيدة والشريعة في الإسلام، توفى في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وألف من الميلاد [المستشرقون لنجيب العقيقي جـ٣ ص٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة بدون تاريخ].

محمد للمؤمن في علاقته بمعبوده، عليها طابع ظاهر من الشعور بالتبعية والقدوة لا تحيط بها حدود، ويجب على الإنسان أن يستسلم لها متبرئًا من كل حول له وقوة، ويشير إلى مثل ذلك القول (أرنولد) في الفصل الذي كتبه عن (إسلام) في دائرة المعارف الإسلامية، ولا يختلف ما ذكره (بابنجر) في الفصل الذي كتبه عن الإسلام في كتاب « أديان العالم » عن كلام جولد صيهر في شيء.[١]

وفى رد الشيخ على المستشرقين **بَيَّن أولاً** أن المفسرين والمتكلمين واللغويين أكدوا على أن المعنى الشرعي للإسلام لا يخرج عن معناه اللغوي فقال:" وقد عني المفسرون والمتكلمون واللغويون وغيرهم من الباحثين برد المعنى الشرعي للفظ «إسلام» إلى أصله اللغوي. وجمع الفخر الرازي (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٢] جملة المذاهب في ذلك؛ فقال وأما الإسلام ففي معناه في أصل اللغة ثلاثة أوجه، الأول: أنه عبارة عن الدخول في السلم؛ أي في الانقياد والمتابعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٣]، أي لمن صار منقادًا لكم ومتابعًا لكم، والثاني: من أسلم؛ أي دخل في السلم، كقولهم: أسنى وأقحط، وأصل السلم السلامة، والثالث: قال ابن الأنباري (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٨ م): المسلم معناه المخلص لله عبادته من قولهم سلم الشيء لفلان خلص له، فالإسلام معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى "[٤]

---

(١) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق ج ١ ص (٣٦٦-٣٦٧) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٢) سورة آل عمران آية (١٩).

(٣) سورة النساء آية (٩٤).

(٤) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ص٦٤ ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م نقلا عن كتاب: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ج ٧ ص(١٧١-١٧٢) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

ثانيًا: ذكر الشيخ تنبه أهل العلم إلى خطأ المستشرقين في بيان معنى الإسلام وأخذ (سيد أمير على) أنموذجًا لذلك فقال:" وقد تنبه سيد أمير علي إلى أن أمثال هؤلاء المستشرقين اعتبروا معنى الانقياد الذي فسر به لفظ إسلام انقيادًا مطلقًا لإرادة لا حدود لسلطانها، ولا كسب لأحد معها، فجاء يبين في كتابيه (روح الإسلام) و(الإسلام) أن ليس في استعمال كلمة إسلام لغة أو شرعًا ما يدل على معنى الانقياد المطلق والخضوع المتضمن لمعنى الجبر كما يفرضه عادة أكثر الباحثين من علماء الغرب. على أن سيد أمير علي يقرر أن المعنى الشرعي للإسلام هو الكد في تحري الرشد والتماس الفلاح بتزكية النفس، كما يؤخذ من الآيات: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[1] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2]. وذلك يستلزم معنى الطاعة الإرادية ظاهرًا وباطنًا، والرشد هو الهدى والفلاح، وهو الذي يهدي إليه القرآن من تصديق خبر الله وامتثال أمره، كما يقول ابن قيم الجوزية"[3].

ثالثا: أظهر الشيخ تعسف بعض المستشرقين في نقلهم لكلام (سيد أمير على) وكذلك فهمهم المغلوط لمعنى الإسلام من خلال نقلهم لبعض أقوال المفسرين فقال:" وبهذا البيان يتضح ما في كلام «إدوارد سل » من التعسف في تأويل رأي سيد أمير علي.

يرى إدوارد سل: أن اعتبار المؤلفين الأوروبيين أن لفظ «إسلام» يعبر عن الإذعان التام لإرادة

---

(١) سورة الجن آية (١٤).

(٢) سورة الشمس آيات (٧-١٠).

(٣) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ص٦٥ ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م انظر «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ ه، الجزء الأول، صفحات ٤٠ انظر: مقال إدوارد سل في دائرة المعارف الدينية والخلقية جزء ٧.

الله في كل شؤون العقائد والأحكام توسع في فهم معنى اللفظ؛ إذ هو إنما يدل على معنى أخص من الإذعان المطلق، فهو إنما يدل على الإذعان العملي، ويستشهد بقول سيد أمير علي أن الإسلام هو تحري الرشد.

ثم يحاول إدوارد سل أن يجعل جملة ما ورد في القرآن من لفظ « إسلام » ومشتقاته مؤديًا معنى الانقياد الظاهر والطاعة بالجوارح، ويزعم أن المفسرين يبدو أنهم مجمعون على استعمال اللفظ في معنى آلي، ويقول: إن هذا يتفق وعدم ورود كلمة في « إسلام » السور الأولى؛ إذا هي لم ترد إلا ثماني مرات منها ست في السور المدنية واثنتان في السور المكية الأخيرة، ويرجع ذلك إلى أن أركان الدين العملية لم تصر جزءًا منه على وجه قاطع حتى كون محمد دينه في المدينة، ويخلص من ذلك إلى: أن لفظ « إسلام » عندما ينظر إليه من وجهة النظر المحمدية يفقد كثيرًا من جماله الروحي الذي تجمع حول فكرة الخضوع التام لإرادة الله، ويصبح مؤيدًا للمبدأ اليهودي القائل بأن المهم ليس هو روح الشريعة، بل المهم هو مراعاة الأداء الصوري لواجبات ظاهرة خاصة.

ودعوى إدوارد سل: أن كلام "سيد أمير علي" يفيد قصر الإسلام على خضوع الجوارح دون خضوع القلب لا يمكن أن يؤخذ من عبارات « سيد أمير علي » وليس في كتابيه ما يؤيدها، ومحاولة « إدوارد سل » أن يجعل جملة ما ورد في القرآن من لفظ « إسلام » وما اشتق منه مؤديًا معنى الانقياد الظاهر والطاعة بالجوارح فقط محاولة لا تقوم على أساس؛ لأن ما ذكر في القرآن من لفظ « إسلام » وما اشتق منه مقابلًا للإيمان ومخالفًا له — بحيث يدل الإسلام على العمل الظاهر والإيمان على التصديق — لا يعدو ثلاث آيات على ما ورد في كتاب (حجج القرآن)[1] أو لا يعدو أربعًا كما هو

(١) كتاب حجج القرآن من تأليف أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي (المتوفى: بعد ٦٣٠هـ) ص ٧١ حققه أحمد عمر المحمصاني الأزهري الناشر: دار الرائد العربي – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م وقد أتم كتابه هذا سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م.

الواقع؛ إذ ترك صاحب هذا الكتاب(آية ٥ من سورة التحريم)[١] أما إجماع المفسرين على استعمال لفظ إسلام في معنى آلي فغير صحيح كما يتضح لكل مطلع على التفاسير المختلفة للقرآن، وسيأتي ما يؤيد ذلك فيما يلي، وعدم ورود لفظ « إسلام » في السور الأولى لا ينتج ما يريد أن يستنتجه المؤلف؛ فقد وردت صيغة اسم الفاعل من « أسلم » في ٣٩ آية، المكيات منها ٢٤ والمدنيات ١٥ ، وبعض هذه المكيات في سور غير متأخرة كما في آية ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (آية ٣٥ من سورة القلم، مكية) وهي السورة الثانية في ترتيب نزول القرآن على ما نقله صاحب الفهرست عن نعمان بن بشير، وكما في آية: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (آية ١٤ من سورة الجن، مكية) التي ورد فيها الفعل أيضًا."[٢]

رابعا: نقل الشيخ كلام " كار دي فو"[٣] ورد عليه فقال: " ولكارا دي فو[٤] رأي في معنى كلمة « إسلام » وأصلها، بينه على الوجه الآتي:

كان من تبع إبراهيم يسمى حنيفًا، ومعناه المائل؛ لأنهم مالوا عن عبادة الأصنام التي كانت قد

---

(١) وهي قوله ﷻ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

(٢) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق ج ١ ص (٣٦٧-٣٦٩) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٣) دى فو، البارون كارا. درس العربية ودرّها في المعهد الكاثوليكي بباريس، وعنى بالرياضيات والفلسفة والتاريخ أكثر ما عنى، فاشتهر بها. من آثاره الرياضيات وعلم الفلسفة، محاضرات في العربية ومفكرو الإسلام في خمسة أجزاء ولد في عام ١٨٦٧ وتوفى في عام ١٩٥٣م [المستشرقون لنجيب العقيقي جـ١ ص٢٣٨-٢٣٩ ط دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة بدون تاريخ] .

(٤) ذكره في كتابه مفكرو الإسلام، الجزء الثالث ص ٥٥.

فشت في العالم، أو يسمى المسلم أي الذي يجدد ويصون الشيء سالمًا، ذلك بأنهم جددوا وصانوا التوحيد الخالص، وتفسير (مسلم) بأنه المستسلم لله أو المسلم نفسه لله أبعد غورًا في التصوف من أن يكون المعنى الأصلي. وهذا الرأي غير وجيه من الناحية اللغوية؛ فإنه ليس في مادة «إسلام» ولا صورتها ما يؤيده على مقتضى أصول اللغة وقواعد الاشتقاق، فما علمنا بأن من مدلولات هذه المادة التجديد أو الصون، ولا رأينا أن صيغة أفعل تفيد أحد هذين المعنيين[١].

خامسا: وبعد أن رد الشيخ كلام المستشرقين من الناحية اللغوية وبَيَّن خطأهم في ذلك راح كعادته يُبَيِّن المعنى اللغوي الصحيح ويظهر العلاقة بينه وبين المعنى الشرعي للإسلام فكتب تحت عنوان:

الرأي الراجح في العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة إسلام:

"من تأمل فيما ذكره اللغويون من معاني مادة « سلم » على اختلاف ألفاظها وصيغها متحريًا البحث عما يصلح أن يكون أصلًا يتفرع عنه سائر المعاني وجد في كتب اللغة المعتبرة (مثل كتاب الاشتقاق لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمفردات في غريب القرآن، ولسان العرب لابن منظور، والمصباح المنير للفيومي) أن السلام بكسر السين و السلم بكسر اللام الحجارة الصلبة، سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة والواحدة سَلِمة، واستلم فلان الحجر الأسود هو افتعل من السلمة وأن « السلم » بفتحتين شجر عظيم له شوك ورقه القرظ يدبغ به، واحده « سلمة » بفتحتين أيضًا، كأنما سمي بذلك لاعتقادهم أنه سليم من الآفات، ويقال: منه سلَمت الجلد (بفتح اللام) أسلمه (بكسرها) إذا دبغته بالسلم. ولعل هذه المعاني هي التي ينبغي أن تكون هي الأصل الأول لمادة سلم، وعنها تفرعت جميع الاستعمالات الأخرى؛ ذلك بأن هذه المعاني هي أمور محسوسة قريبة إلى حياة البداوة، فهي أجدر أن تكون أصلًا لوضع المعاني المجردة. وقد ولد العرب من هذه

(١) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق ج ١ ص (٣٦٩).

المعاني معاني أخرى وضعية حقيقية قائمة على معنى الخلوص الذي هو ملحوظ في المعاني الأولى.

وهذه المعاني الحقيقية المولدة هي:

(١) معنى الخلوص من الشوائب الظاهرة أو الباطنة، وفي معاجم اللغة أن السَّلْم بفتح فسكون والسلام والسلامة تكون بمعنى الخلوص والتعري من الآفات الظاهرة أو الباطنة.

(٢) معنى الصلح والأمان، ويقول اللغويون: إن السِّلم والسَّلم بكسر السين وفتحها لغتان في الصلح، يذكران ويؤنثان كالسلام.

(٣) معنى الطاعة والإذعان، فالسَّلَم بفتحتين على ما في كتب اللغة والسَّلْم بفتح فسكون الاستسلام والإذعان والطاعة.

ويرد اللغويون «السلام» الذي هو اسم من أسماء الله، والسلام بمعنى التحية والدعاء إلى معنى الخلوص والسلام من المكاره والآفات، ورد السَّلَم بمعنى السَّلَف[١] إلى هذا المعنى غير عسير.

وفعل أسلم يستعمل في اللغة على وجهين؛ أحدهما: أن يستعمل لازمًا، والآخر: أن يستعمل متعديًا.

واللازم يكون بمعنى الدخول في السلم بمعنى الصلح أو الطاعة، وقد ذكر علماء الصرف أن صيغة أفعل اللازم: تأتي بمعنى الدخول في شيء كأصبح بمعنى دخل في الصباح، وأقحط: دخل في القحط، وأعرق: دخل في العراق.

وأما المتعدي: فصيغة أفعل فيه ترد للتعدية وهي تصيير الفاعل قبل دخول الهمزة مفعولًا، فأسلم الشيء لفلان منقول بالهمزة عن سلم الشيء لفلان: خلص له من غير منازع، كسلَّمه له تسليمًا المنقول بالتضعيف، وحقيقة معناه: أخلصه له وجعله له سالمًا.

---

(١) أي القرض، ويقصره الفقهاء على نوع خاص من القرض، فهو عند أبي حنيفة مثلًا بيع آجل بعاجل إذا كانا مختلفي النوع، كبيع غلة آجلة بنقود عاجلة.

ولفظ «إسلام» مصدر «أسلم» لازمًا كان أم متعديًا فهو صالح للدلالة على كل ما يدل عليه الفعل من المعاني السالفة.

هذه هي جملة المعاني اللغوية لمادة «سلم» وما تفرع عنها. وقد ورد في القرآن استعمال كثير من صيغ هذه المادة في معانيها اللغوية.

فورد معنى **الخلوص والبراءة من الشوائب الظاهرة والباطنة** في قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ (١) وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢). وورد في غير هاتين الآيتين أيضًا.

وجاء معنى الصلح في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾(٣) وقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٤).

واستعمل القرآن بعض صيغ هذه المادة في معنى الانقياد والخضوع كما في قوله: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾(٥). "(٦)

" على أن القرآن استعمل لفظ «إسلام» وفعله والوصف منه في معنى شرعي خاص، وقد

---

(١) سورة البقرة آية (٧١).

(٢) سورة الشعراء آية (٨٩).

(٣) سورة محمد آية (٣٥).

(٤) سورة الأنفال آية (٦١).

(٥) سورة الصافات آية (٢٦).

(٦) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق ج ١ ص(٣٧١-٣٧٣).

اختلفوا في هذا المعنى الشرعي على مذاهب ثلاثة:

(أ) قال قائلون: إن الإسلام هو الإيمان، ومعنى الإيمان باتفاق أهل العلم من اللغويين وغيرهم التصديق كما في لسان العرب، وذهب هذا المذهب الفخر الرازي في تفسيره لآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[1] مستدلًّا عليه.

(ب) وقال آخرون: إن لفظ « إسلام » يطلق في لسان الشرع على معنيين؛ أحدهما: الإيمان، والثاني: معنى أعم من الإيمان، وهو الانقياد بالقلب أو بالظاهر، وقد نقل هذا المذهب النووي في شرحه على صحيح مسلم عن الخطابي.

ومن القائلين بأن لفظ «إسلام» يطلق في لسان الشرع على معنيين من يفسر هذين المعنيين بما فسرهما به الراغب الأصفهاني؛ فيذهب إلى أن أحد المعنيين هو الإيمان، ويفسر الإيمان بالاعتراف باللسان، وأن الثاني فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف باللسان اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر.

(ج) وقال قائلون: إن الإسلام يطلق شرعًا على ثلاثة معانٍ، وعلى هذا جرى الغزالي في الإحياء، وهذه المعاني الثلاثة هي:

أولًا: إطلاق الإسلام بمعنى الاستسلام ظاهرًا باللسان والجوارح، مع إطلاق الإيمان على التصديق بالقلب فقط، وبذلك يكون الإيمان والإسلام مختلفين.

ثانيًا: أن يكون الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعًا، ويكون الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب، فالإيمان أخص من الإسلام.

ثالثًا: أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعًا، وكذا الإيمان، وعلى هذا

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩).

فالإسلام والإيمان مترادفان.[١]

" وأثر الفرق الإسلامية ظاهر قوي في هذا الخلاف المرتبط بمسألة احتدم فيها النزاع بين الفرق، وهي مسألة الكفر بارتكاب الكبيرة.

فالأشعرية لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه ما لم يرتكبه مستحلًّا له غير معتقد تحريمه، خلافًا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبائر يكفر ويزول عنه الإيمان، وخلافًا للقدرية والمعتزلة القائلين بأنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، فيكون بين الكفر والإيمان.

بل إن الفرق جعلت مسألة المعنى الشرعي للإسلام والإيمان من أسس نزاعها صراحة؛ فالأشعري يقول في الإبانة: "ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانًا"[٢]. ويقول الطبرسي الشيعي في تفسيره مجمع البيان «والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة»

فالخلاف على هذه المسألة إنما هو في الحقيقة من تمحلات الفرق والتماسها دقائق البحث اندفاعًا وراء جموح النظر؛ فهو مصطنع اصطناعًا."[٣]

" ولكنهم يريدون أن يلتمسوا سببًا لهذا الخلاف في القرآن نفسه، وعندهم أن منشأه أن علماء الإسلام وجدوا في آيات القرآن ما ذكر فيه الإسلام مقابلًا للإيمان على وجه يشعر بالتغاير بينهما: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٤]،

---

(١) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ص(٧١-٧٢) ط مؤسسة هنداوي.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة أبو الحسن الأشعري ص٢٦ المحقق: د. فوقية حسين محمود ط دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى١٣٩٧ هـ.

(٣) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق ج ١ص (٣٧٤).

(٤) سور ة الحجرات آية (١٤).

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾[١]،﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ.....﴾[٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٣]، كما وجدوا في آيات ما يدل على أن الإسلام والإيمان واحد: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٤]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٥]، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦].

وقد أرادوا التحلل من هذا الإشكال بأن جعلوا للإسلام في لسان الشرع معاني مختلفة.

على أن الأمر لا يدعو إلى ذلك فإن القرآن استعمل من مادة « سلم » صيغًا كثيرة في معانيها اللغوية كما استعملها العرب، ولكنه استحدث للفظ « إسلام » وما اشتق منه معنى واحدًا شرعيًّا استعمله في آيات غير قليلة؛ وهذا المعنى هو: التوحيد وإخلاص النفس لله وحده لا يكون فيها لغيره شريك يعبد ويسمى إلهًا، وهو معنى مولد من المعنى اللغوي الذي هو الخلوص والسلامة. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق: «واشتقاق المسلم من قولهم أسلمت لله؛ أي سلم له ضميري»[٧] أما سائر

---

(١) سورة التحريم آية (٥).

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٥).

(٣) سورة الزخرف آية(٦٩).

(٤) سورة يونس آية (٨٤) .

(٥) سورة الذاريات آيتي (٣٥-٣٦) .

(٦) سورة الحجرات آية (١٧) .

(٧) الاشتقاق أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) ص ٣٥ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل، بيروت لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

استعمالات القرآن لهذه المادة فاستعمالات لغوية جارية على الأوضاع والاستعمالات العربية الحقيقية. وقد ذكر ما يفيد ذلك الزمخشري في الكشاف عند تفسير آية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(١).

" والأدلة على أن المعنى الشرعي للإسلام هو التوحيد وإخلاص الضمير لله تظهر في عدة مواطن:

أحدها: أن القرآن يقرر أن الدين واحد على لسان جميع الأنبياء وهو الإيمان بما يجب الإيمان به، وإنما تختلف الشرائع، أي الأحكام العملية: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٢)،﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾(٣)، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ولَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٤).

ودين الله الواحد الذي لا يدخله النسخ ولا يختلف باختلاف الأنبياء هو في عرف القرآن

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩) إشارة إلى قول الزمخشري " فَإِنْ حَاجُّوكَ فإن جادلوك في الدين فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه يعنى أن ديني التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي، وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري جـ ١ ص (٣٤٦-٣٤٧) ط دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ

(٢) سورة الشورى آية (١٣) ويراجع في ذلك تفاسير الطبري والكشاف والرازي والبيضاوي.

(٣) سورة الأنعام آية (٩٠) ويراجع تفسير الكشاف للزمخشري.

(٤) سورة المائدة آية (٤٨) ويراجع في ذلك تفسير الطبري.

المسمى إسلامًا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١)، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٢)، وهذه الآية الأخيرة نزلت يوم عرفة في حجة الوداع، قالوا: ولم يعش النبي بعدها إلا ٨١ ليلة، وهي تدل على أن الدين الذي هو الإسلام هو التنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع التي كملت في القرآن؛ أما الأحكام العملية فهي تختلف باختلاف الأنبياء والأمم، وقد تتغير بتغير المظان، ولم يجمعها القرآن إلا إجمالًا بتبيينه الأصول التي تستمد منها تلك الأحكام، ولم تكن كملت عند نزول الآية.

وقد ثبت بما ذكرناه أن الدين في عرف القرآن هو الإيمان بالأصول الدينية التي هي حقائق خالدة لا يدخلها النسخ ولا تختلف فيها الأنبياء، وأن الإسلام هو هذا الدين؛ إذ لا دين غيره عند الله.

ثانيها: أن صيغة «إسلام» وردت في القرآن مضافة وغير مضافة في ثماني آيات، منها ست آيات مدنية، وآيتان مكيتان.

فأما المكيتان فهما: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾(٣)، ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(٤)، والآيتان صريحتان في أن الإسلام فيهما هو الإيمان الخالص

---

(١) سورة آل عمران آيتى (١٩-٢٠).

(٢) سورة المائدة (٣) يراجع تفسير البيضاوي لهذه الآية والموافقات للشاطبي جـ ٣ ص ٦٢ و جـ ٤ صفحتي ١١٦،١١٧.

(٣) سورة الأنعام آية (١٢٥).

(٤) سورة الزمر آية (٢٢).

الذي موضعه الصدر أي القلب.

وأما الآيات المدنية فهي: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١]، وتفسير الإسلام في هذه الآية بالإيمان تدل عليه الآيات اللاحقة دلالة ظاهرة. ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[٢] والإسلام في هذه الآية مذكور في مقابلة الكفر، وقد قوبل الإسلام وما يشتق منه في القرآن بالكفر كما في هذه الآية، وكما في آية: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، وآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٤]، وقوبل الإسلام بالشرك في آيات عدة؛ منها: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٥]، وآية: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٦].

أما باقي الآيات المدنية فهي: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧]، وهي من الآيات التي ذكرها كتاب « حجج القرآن»

---

(١) سورة الصف آية (٧) .

(٢) سورة التوبة آية (٧٤) .

(٣) سورة آل عمران آية (٨٠).

(٤) سورة الحجر آية (٢).

(٥) سورة آل عمران آية (٦٧) .

(٦) سورة الأنعام آية (١٤) .

(٧) سورة الحجرات آية (١٧) .

في حجج القائلين بأن الإيمان والإسلام واحد، وآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[1]، وآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

وقد بين الزمخشري وغيره من المفسرين في تفسير هذه الآيات: أن الإسلام فيها هو التوحيد وإسلام الوجه لله وذلك يقتضي أن لفظ «إسلام» لم يرد في القرآن إلا مستعملًا في معناه الشرعي مرادفًا للإيمان.

ثالثها: أن القرآن سمى أتباع دين محمد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ في آياتٍ منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]،وآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[6]، وسماهم كذلك المسلمين في آيات منها: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩) .

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥).

(٣) سورة المائدة آية (٣) .

(٤) سورة البقرة آية (٦٢) .

(٥) سورة المائدة آية (٦٩) .

(٦) سورة الحج آية (١٧).

وَفِي هَٰذَا.....﴾[١]، وآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢]، وفي ذلك إشعار بأن معنى الإيمان والإسلام متفق غير مختلف"[٣].

وهكذا أظهر الشيخ المعنى الحقيقي لكلمة (إسلام) مستدلًا على ذلك بما ورد في كتب اللغة، وكيف استخدمها القرآن الكريم للدلالة على معنى الخالص لله رب العالمين، وأن الإسلام بهذا المعنى هو دين الأنبياء جميعًا، ففسر الإسلام بالإيمان، وأنه مقابل الكفر والشرك، وأن القرآن الكريم سمى اتباع محمد ﷺ مسلمين ومؤمنين، وبعد ذلك بدء الشيخ الحديث عن العلاقة بين الإسلام والإيمان ، وعن تقسمين المسلمين الدين إلى أصول وفروع، وبَيَّن أن الأساس في الجانب العملي ليس الظاهر فقط وإنما مدار القبول على الباطن، وفى هذا رد على المستشرقين الذي زعموا أن الإسلام خضوع وانقياد دون شعور وحرية واختيار فقال:

" وإذا كان الإسلام في عرف القرآن هو القواعد الأصولية التي يجب الإيمان بها والتي جمعها القرآن كاملة بحيث يعرف الإسلام بأنه هو ما أوحاه الله إلى نبيه محمد في القرآن، وأمره بتبيينه للناس كما تشير إليه آية: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤] فقد تطور استعمال لفظ الإسلام إلى ما يشمل الأصول الاعتقادية، أو الفروع العملية، وتطور استعمال لفظ « الدين » كذلك فأصبح تعريف الدين عند المسلمين هو:" وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى

((١) سورة الحج آية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٣) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ص (٧٢-٧٦) ط مؤسسة هنداوي.

(٤) سورة النحل آية (٤٤).

الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال"[1] ومع هذا التطور فقد بقيت بين المسلمين آثار العرف الشرعي إلى اليوم.

فهم يقسمون الدين إلى فروع وأصول باعتباره منقسمًا إلى معرفة هي الأصل وطاعة هي الفرع، ويقولون إن العقائد يقينية؛ فلا بد أن تكون ثابتة بطريق ديني يقيني قطعي وهو القرآن وحده؛ إذ هو المقطوع به وحده في الجملة والتفصيل، أما الأحكام العملية فيكفي فيها الظن. ويقولون: إن النسخ لا يكون في مسائل علم الكلام وإنما يكون في مسائل الفقه.

ثم إن الخلاف بين المسلمين في شؤون الأحكام العملية ليس له خطر الخلاف في الأمور الاعتقادية، فالآراء المتباينة في الأولى تسمى مذاهب، وأتباع كل يعتقدون أن مذهبهم صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرهم خطأ يحتمل الصواب، بل يرى بعضهم: أن الحق يتعدد في المسائل الاجتهادية؛ باعتبار أن الله لم يكلف الناس إلا بأن يبذلوا جهدهم في تحري الصواب، فما وصلوا إليه بجهدهم فهو بالنسبة لهم الحق لا يجوز العدول عنه، ولست تجد شيئًا من ذلك في أمور العقائد التي يؤدي الاختلاف فيها إلى تفرق الفرق يكفر بعضها بعضًا، والحق في مسائل الاعتقاد واحد لا يتعدد وكل ما سواه باطل، أحسن الفروض بالنسبة لصاحبه أن يعذر فينجو من عقاب الأخذ بالباطل.

هذا والأعمال البدنية نفسها لا يكون لها اعتبار في دين المسلمين بحسب صورها الظاهرة، وإنما هي معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التي هي مصدرها، وفي القرآن: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[2] ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث هو أحد

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) جـ١ ص ٨١٤ تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ط مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٢) سورة الحج آية (٣٧) .

الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وقال الشافعي وأحمد: إنه يدخل فيه ثلث العلم، وهو من أصح الأحاديث النبوية وأشهرها، حتى زعم بعضهم أنه متواتر[١]، واعترافًا بمكانه بين السنن تجده في فاتحة كثير من كتب السنة المعتبرة، وهذا الحديث هو (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)"[٢][٣]

لقد أبطل الشيخ بذلك ما زعمه بعض المستشرقين إلى أن الإسلام يعنى الطاعة والخضوع و الاستسلام بطريقة لاإرادية تفرض نفسها على الإنسان فيخضع لإرادة قاهرة دون حرية واختياراً فخضوعه لها عن طريق التبعية والقهر لا على سبيل الحرية والاختيار ، وأثبت ضعف هذا القول بالرجوع إلى كتب اللغة، واستخدام القرآن الكريم لمعاني الكلمة ،وبذلك أثبت ان حقيقة الإسلام هي الخلوص من الشوائب الظاهرة و الباطنة، وان العبرة بقبول الأعمال ليس شكلها الظاهر وإنما أمرها الباطن، فالإسلام ليس خضوعًا واستسلامًا دون قصد واختيار وإنما إخلاص لله رب العالمين، وهو بهذا المعنى دين الأنبياء جميعًا.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري شهاب الدين القسطلاني (المتوفى: ٩٢٣هـ) جـ ١ ص ٥٦ ط : المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٢) صحيح البخاري بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ جـ ١ ص ٦ حديث رقم ١ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ط دار طوق النجاة الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق ج ١ ص (٣٧٩-٣٨١).

المبحث الثاني

هجوم المستشرقين على الشريعة الإسلامية وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق منه.

تحت عنوان الاجتهاد بالرأي هو بداية النظر العقلي قال الشيخ مصطفى عبد الرازق:

"الاجتهاد بالرأي في الأحكام الشرعِيَّة هو أول ما نبت من النظر العقلي عند المسلمين، وقد نما وترعرع في رعاية القرآن وبسبب من الدين، ونشأت منه المذاهب الفقهية وأينع في جنباته علم فلسفي هو علم " أصول الفقه " ونبت في تربته التصوُّف أيضًا كما سنبيِّنه، وذلك من قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلها في توجيه النظر عند المسلمين إلى البحث فيما وراء الطبيعة والإلهيات على أنحاء خاصة.

والباحثُ في تاريخ الفلسفة الإسلامية يجبُ عليه أولًا أن يدرس الاجتهاد بالرأي منذ نشأته الساذجة إلى أن صار نَسَقًا من أساليب البحث العلمي، له أصوله وقواعده.

يجبُ البدء بهذا البحث؛ لأنَّه بداية التفكير الفلسفي عند المسلمين، والترتيب الطبيعي يقضي بتقديم السابق على اللاحق، ولأنَّ هذه النَّاحية أقل نواحي التفكير الإسلامي تأثرًا بالعناصر الأجنبية، فهي تمثِّل لنا هذا التفكير مُخلصًا بسيطًا يكاد يكون مسيرًا في طريق النمو بقوته الذاتية وحدها، فيسهل بعد ذلك أن نتابع أطواره في ثنايا التاريخ، وأن نتقصَّى فعله وانفعاله فيما اتصل به من أفكار الأمم[1]"

وبعد ذلك يقرر الشيخ مصطفى عبد الرازق أن البحث في الأحكام الفقهية نشأ وترعرع مع ظهور الإسلام نفسه بتشجيع من النبي ﷺ، وأن طبيعة العرب كانت مُسْتَعِدَّة لهذا النوع من التفكير لاستنباط الأحكام الشرعية في الوقائع المتجددة التي لا نص فيها، مستدلًا على ذلك بما حدث مع

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٣ص (١٢٩-١٣٠).

معاذ بن جبل- رضـــى الله عنه- حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وبموقف الصـــحابة – رضـــوان الله عليهم- في مسألة الذهاب إلى بني قُرَيْظة فقال:

" أمَّا النظر العقلي في المسائل الشرعية العملية؛ فقد نشأ في الإسلام مؤيدًا من الدين، وقد ورد في الكتاب والسُّنَّة الثناء على الحكمة والحكم والتنويه بفضلهما، فمهد ذلك لانتعاش النَّظر العقلي في الشئون العملية، وهو نوع من التفكير كانت العرب مُسْتَعِدَّة لنموه بينها على ما أشرنا إليه آنفًا، ووجدت الحاجة إلى هذا النظر في استنباط أحكام الوقائع المُتجدِّدة التي لم يكن من المُمكن أن تُحيط بها النصوص الشرعية.

قال ابن عبد البر في كتاب (مختصر جامع بيان العلم وفضله): " وقال المزني: الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وهلمَّ جرًّا، استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام في أمر دينهم"

وسنَّ الرسول لولاته في الأمصار أن يجتهدوا رأيهم حين لا يجدون نصًّا، وجاء في القرآن نفسه بأحكام كُلِّف بها المسلمون على أن يكون سبيلهم في طاعتها الاسترشاد بالعقل، كما في مسألة التوجُّه إلى القِبْلة للبعيد عن الكعبة، وقد فصَّل الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ/ ٨١٩-٨٢٠ م ذلك في رسالته فحدث الاجتهاد في التشريع الإسلامي منذ عهد الإسلام الأوَّل في كنف القرآن بترخيص من الرسول عليه السلام.

وقد روى ابن عبد البر في كتاب (مختصر جامع بيان العلم وفضله): عن معاذ أنَّ رسول لله صلى الله عليه وسلم، لمَّا بعثه إلى اليمن قال له: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أَقضي بما في كتاب لله، قال: فإن لم يكن في كتاب لله؟ قال فبسُنَّة رسول لله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم يكن في سنة رسول لله؟ قال أجتهد رأيي لا آلُو، قال: فضرب بيدِه في صدري، وقال: الحمد لله الذي وفَّقَ رسولَ رسولِ لله لما يرضاه رسولُ لله.

وروى ابن عبد البر أيضًا: عن ابن عمر، قال رسول لله صلى الله عليه وسلم، يوم الأحزاب: لا يصلي أحد العصر إلا في بني قُرَيْظة فأدركهم وقت العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي ولم يُرد منَّا ذلك، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنِّف واحدة من الطائفتين، قال أبو عمر: هذه سبيل الاجتهاد على الأصول عند جماعة الفقهاء"[1]

ومع وضوح الأمر نجد ان بعض المستشرقين بدافع التعصب، يحاول نفى الأصالة الفكرية في جانب الأحكام الشرعية عند المسلمين، ويدعى تأثره إما بالجانب اليهودي أو المسيحي، ولقد عقد الشيخ مصطفى عبد الرازق مقارنة بين رأى المستشرقين وعلماء الإسلام في ذلك فقال تحت عنوان:

منزع المستشرقين في الفقه وتاريخه

" البحث في الرأي وأطواره وأثره في تكوين المذاهب الفقهية يستدعي نظرة في تاريخ الفقه الإسلامي ومصادره في أدواره المختلفة، وللنَّاظرين في هذا البحث من المستشرقين منزع، ولمَن عرض له من المسلمين منزع غيره، والمُقارنة بين وجهتي النظر قد تنتهي بنا إلى تمحيصٍ أوسع مدًى، وطريقة أدنى إلى السداد.

وجهة نظر كارا دي فو.

يقول البارون كارا دي فو في الجزء الثالث من كتابه المُسَمَّى «مفكرو الإسلام» عند الكلام على الفقه: "يرى المسلمون أنَّ الفقه ذو علاقة بالدين متينة، بل هم يرونه مُلْتَحِمًا به التحامًا؛ فهو جزء منه، والفقه مأخوذ كله من الوحي؛ أي القرآن، كسائر الدين، ولما كان في القرآن شيء من الإجمال، فقد عمدوا إلى توضيحه بالآثار؛ أي بسنة أصحاب النبي والجيلين الأوَّلَيْن من تابعيه. هذه هي

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله وما يجب في روايته وحمله. لابن عبد البر. اختصره الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي. ص ١٣٢ "مطبعة الموسوعات". الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠هـ وانظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ٣ص(١٢٨-١٢٩).

النظرية الأساسية، وبناء عليها ذكر الفقه في الكتب الإسلامية على أنه وليد القرآن والآثار الإسلامية من غير إشـــارة إلى أصـــول أجنبية قط، وهذه نظرية لا تَثبُت عند النقد، وإذا قرأ قارئ بعض آيات الأحكام في القرآن، ثم قرأ صـفحتين أو ثلاثة من بعض مبسـوطات الفقه الإسـلامي، أحسَّ بما بين الاثنين من فرق؛ فذاك نص ساذج مُبهَم في صورة من صور البداوة الأولى، وهذا تحليل علمي دقيق من آثار التفكير المثقَّف، ذاك شبه مسوَّدة جافة بالية قائمة في صحراء، وهذا ممحَّص مصقول متَّسِق مع الرقي المدني. هاتان هما حالتا الإسـلام اللتان ينبغي شـرحهما، فمن أين جاءت قوانين القرآن؟ ومن أين جاءت قوانين الفقهاء؟ وما أرُيد إلا أن أشُير إلى ذلك إشارات عامة، ولستُ أرُيد أن أُنكِرَ بادئ الأمر كل طرافة في أحكام القرآن، لكني أرى مساغًا للبحث عَمَّا إذا كانت تلك الأحكام مُتأثرة بالتلمود أو بالقانون المسـيحي، وعلى الخصـوص هذا القانون كما كان يفهمه رجال الدين، وقد تكون بقايا العادات العربية القديمة وجدت لها منفذًا في بعض الأحوال أيضًا.

أما فقه الفقهاء؛ فيجب أن يُلاحَظ أنَّ تدوينه كان في عصـرٍ عاصـمة الإسـلام فيه بغداد، فلعل عناصـر آتية من العراق هي التي غلبت عليه، ومن قبل ذلك لما كانت دمشـق دار الخلافة كان الفقه عُرْضـة للتأثُّر بالقوانين البيزنطية (الرومانية الشـرقية)، وينبغي أن يُلاحَظ أنَّ هذا التأثير وقع – فيما يظهر – من القوانين المحلية التي كانت خاصة بكل إقليم، ولئن كنَّا نعرف القانون الروماني أحسن معرفة، فإنا لا ندري أكان القانون النافذ في سـورية لعهد « هرقل » قبل الفتح العربي بقليل هو نفس القانون الذي كان معروفًا في « بيزنطة » لعهد « جسـتنيان » أم كان قانونًا يُغايره؟ ولا ندري أي قانون كان معمولًا به في العراق تحت حكم الفرس حين جاء الفتح الإسـلامي، لا نكاد نعرف من ذلك شيئًا، بَيْدَ أنَّ صيغة الفقه الدينية تسوغ لنا أن نفرض أنه كان على الخصوص موضعًا للتأثر بالقوانين الدينية أو الشرائع، وقد أدركتْه هذه التأثيرات في سورية والعراق من المذاهب المسيحية التي كانت موجودة في بلاد فارس هذه هي المعلومات القليلة التي لدينا في الموضـوع، وهي مُقدمات ليس

التوصل منها إلى نتيجة سهلًا على مَنْ يُحاوله"[١].

ويرد الشيخ مصطفى عبد الرازق على هذا الافتراء بقوله:

"ملاحظات على كلام كارا دي فو:

والخلاصة التي يصح التعويل عليها من كلام البارون كارا دي فو، هي أنَّ نظرية الإسلاميين ترد الفقه إلى مصادر إسلامية من غير ملاحظة أي تأثير أجنبي في تكوينه.

والنظرية الأخرى تلحظ في نشأة الفقه وتطوُّره العوامل الخارجية على الخصوص، هذا المِقْدَار صحيحٌ في تقرير النظريتين، على ما في بيان المؤلف من تساهل في مثل" إنَّ الفقه يُعتبر في كتب الإسلام وليد القرآن وآثار الصحابة والجيلين الأوَّلين من التابعين" فقد أهمل ذكر السنة النبوية كما أهمل القياس وأهمل الإجماع، وذكر آثار الجيلين الأوَّلين من التابعين وليست آثارهما أصلًا من أصول الفقه: دع عنك ما في مقارنته بين نصوص القرآن ونصوص الكتب الفقهية من عسف وحيف في غير رفق، فما كان القرآن كتابًا فنيًّا يصحُّ أن تقارن نصوصه بكتب الفنون، وقد يُلحَظ أن كارا دي فو يميل في فروضه إلى رد معظم التأثير في تكوين الفقه الإسلامي إلى المذاهب المسيحية"[٢].

من خلال ما سبق يمكن ان نجمل رد الشيخ مصطفى عبد الرازق على كار دى فو في النقاط الآتية:

أولًا: لقد أهمل كار دى فو السنة النبوية الشريفة كما أهمل القياس والإجماع كروافد استقى منها الفقهاء أحكامهم.

ثانيًا: هناك تعسف وحيف في المقارنة بين القرآن الكريم وغيره من اجتهادات الفقهاء، فليس القرآن الكريم كتابًا بشريًا لكي يقارن بما كتبه البشر.

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبدالرازق ص(١٢٤- ١٢٦) ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص (١٢٤- ١٢٥) ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

ثالثًا: عَوّل كار دى فو على الجيلين الأولين من التابعين في نشـأة الفقه وأصـوله، والحقيقة أنه ليس لهما كبير الأثر في ذلك.

رابعًا: ظهر جليًا مدى تعصب كار دى فو في رد الفقه الإسلامي إلى مصادر مسيحية، متجاهلًا الحقيقة الناصـعة بان الفقه الإسـلامي هو وليد البيئة الإسـلامية، وأن الاجتهاد بالرأي في الأحكام الشـرعِيَّة هو أول ما نبت من النظر العقلي عند المسلمين، وقد نما وترعرع في رعاية القرآن وبسبب من الدين.

وبعد رد الشـيخ على كار دى فو انتقل إلى الحديث عن وجهة نظر مسـتشـرق آخر غلب عليه التعصـب لدينه اليهودي فحاول أن يرد مصـدر الفقه الإسـلامي إلى مصـادر يهودية فتناول الشـيخ حديث المستشرق المجرى جولدزيهر حول هذه المسألة فكتب تحت عنوان:

وجهة نظر جولدزيهر :

"أمَّا جولدزيهر المُتوفى سـنة ١٩٢١ م فهو لا يميل هذا الميل، بل هو ينزع في لطف إلى ما يؤيد ناحية التأثير اليهودي، ويُمكن أن يلاحظ أنَّ الأول مسـيحي، وأنَّ الثاني يهودي، قال جولدزيهر في مقاله عن الفقه في « دائرة المعارف الإسـلامية »:" ومن السَّـهل أن نفهَمَ أنَّ ما أفاده المشـتغلون بالتشـريع في الشـام والعراق من القانون الروماني ومن القوانين الخاصـة ببعض الولايات، كان له أثرٌ في تكامل الفقه الإسلامي من ناحية أحكامه ومن ناحية طرق الاستنباط وكان طبيعيًّا لهؤلاء الأمُّيين – الخارجين من نظام اجتماعي ساذج إلى بلاد ذات مدنية قديمة ليتبوؤوا فيها مكانة الحاكمين– أن يتناولوا في الحوادث المتولدة ما يُناسب الحالة القائمة على الفتح، ويلائم نزعات الدين الجديد من عادات القوم وقوانينهم، ودرس هذا الجانب من تاريخ التشـريع هو من أهم الأبحاث المتعلقة بالعلوم الإسـلامية. ولئن كان ذلك مُقَرَّرًا من قبل ومُعترفًا به، فإنَّه لم يتناول بالبحث إلا في جزئيات قليلة.

وقد جمع (سانتلانا) في مشروع قانوني مدني تجاري وضعه لحكومة تونس سنة١٨٩٩ كثيرًا من المواد المهيئة لدرس هذا الموضوع. وفي مقال نشره فرانز فردريك شميدت في سترسبورج سنة ١٩١٠ ، في موضوع المُقارنة بين القوانين في فصل من فصول القانون الخاص، أدلة قويَّة على قبول فقهاء الإسلام لكثير من أحكام القانون الروماني، ومن قبل ذلك بيَّن صاحب هذا المقال في بعض مؤلفاته أنَّ تسمية الاستنباط للأحكام الشرعية فقهًا — حكمة — وتسمية أهل هذا الشأن فقهاء — حكماء — مُتأثرة بتعبير الرومانيين من رجال الشرع وعلم التشريع بعبارات « جوريس- برودانتس، وجوريس- برودنتيا » : واستعمال يهود فلسطين لكلمتي « حاخاميم، حُخْمَة » هو من هذا القبيل، ينبغي أن ينسب إلى تأثير روماني أيضًا.

ولم تقف عند القانون الروماني أصول التشريع الإسلامي، فإنَّ الخاصة الملازمة لنشوء الإسلام ونموه[١] ظهرت أولًا في أمور العبادات كما هو طبيعي باقتباس أحكام مما عند اليهود.

ويقول فون كريمر: إنَّ بعض أحكام القوانين الرُّومانية التي دخلت في الإسلام لم تَصِل إليه إلا في خلال اليهودية، ويجبُ البحث عَمَّا قد يكون للمجوسية من أثر في فروع الفقه الإسلامي وعن مبلغ هذا الأثر "[٢]

"ويبيِّن جولدزيهر في كتابه « عقيدة الإسلام وشرعه » مداخل العناصر الأجنبية إلى الفقه الإسلامي: فيذكر أولًا أنَّه وإن كان القرآن لبث في كل تاريخ الإسلام عند أتباع دين محمد صلى الله عليه وسلم أصلًا من الأصول وكتابًا إلهيًّا مجيدًا، وظلَّ موضعًا لإعجاب لا يظن أنَّ أثرًا من الآثار

---

(١) يُريد جولدزيهر بهذه الخاصة الخضوع للعوامل الخارجية الذي يشعر به لفظ الإسلام المتضمن في رأيه معنى الخضوع والانقياد.

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٣ص(١٣٣-١٣٤) .

الأدبية في العالم نال مثله — فإنَّه من الخطأ أن يُنسب للقرآن أرجح قسط في رسم حدود الإسلام، إنما تَحَكَّم القرآن مدة لا تزيد عن عشرين عامًا في صدر التاريخ الإسلامي، ولئن كنَّا لا نستطيع أن نتصور الإسلام من غير القرآن، فإنَّ القرآن ليس مغنيًا وحده في كمال الفهم للإسلام. إلى جانب ما ورد في القرآن من أحكام شرعية مكتوبة، وُجدت أحكام منقولةٌ مشافَهةٌ كما هو الأمر عند اليهود، تلك هي السُّنَّة، وهي ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير، وما يدلُّ على هذه السنة من عبارة يصلها الإسناد إلى عهد الرسول، هو الحديث، ويدلُّ على ما للسنة عندهم من شأن، كلمة منسوبة للإمام عليٍّ، وهي وصية يُقال إنَّه وصَّى بها عبد الله بن عباس؛ إذ أرسله لمحاجَّة الخوارج: «لا تحتجَّ عليهم بالقرآن، فإنَّ القرآن حمَّال أوجه، ولكن احتجَّ عليهم بالسنَّة، فإنها لا تدع لهم مخرجًا»"[1]

" ثم يقول جولدزيهر: ليس الشرع وحده والسنة والعقائد والمبادئ السياسية هي التي اتخذت شكل الحديث، ولكن كل العناصر التي استنبطها الإسلام أو اقتبسها من مصادر أجنبية لبست هذا الشكل، وبذلك بَلَغَ اندماج العناصر الأجنبية في الإسلام حدًّا ضاعت معه مناشؤها، ومن خلف هذا الستار تبوَّأت مكانًا في الإسلام جُمَلٌ من العهد القديم، ومن العهد الجديد، وحِكَم مأثورة عن أحبار اليهود، أو مقتبسة من الأناجيل الموضوعة، بل بعض مذاهب الفلسفة اليونانية، وبعض عبارات من حِكْمة الفرس والهنود... وكان الغش بنِيَّة الزُّلْفى إلى الله من ناحية وضَّاع الأحاديث لا يَلقَى في كل مكان إلا تسامحًا متى كانت الأحاديث الموضوعة في الأخلاق والمواعظ، لكن المتشددين من علماء الدين كانوا يتجهَّمون كلَّ تَجهُّم حينما تكون تلك الأحاديث مما يُعتبَر أصلًا في العبادات، أو الأحكام الشرعية ...وما كان للحديث أن يكفي وحده أساسًا تقوم عليه قواعد العبادة والمعاملة؛ ولهذا الاعتبار أثر كبير فيما ساد منذ بدء تكوين الفقه من نزوع إلى استنباط الأحكام الدينية باجتهاد

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص (١٢٧ – ١٢٨) ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

الرَّأي، كما تُؤخذ هذه الأحكام مما صَحَّ عندهم من السُّنَن مع اعتقاد أنه من المُسْتَطاع ضبط الحوادث المُتجددة بالقياس الفقهي والاستقراء، بل الاستدلال العقلي.... وما ينبغي لنا أن نعجب من أن يكون لبعض المعارف الأجنبية أثر أيضًا في تكوين هذه الطريقة وفي تفاصيل تطبيقها، ومن آيات ذلك أنَّ في الفقه الإسلامي، أصوله وأحكامه شواهد غير منكورة لتأثير الفقه الروماني"[1].

"ويذكر جولدزيهر أن للتغير السياسي، الذي تم بزوال الدولة الأمُوية وقيام الدولة العباسية، شأنًا عظيمًا في تكوين الفقه وتدوينه، فيقول: حلَّت محل حكومة الأمُويين المُتَّهمة بأنَّها دنيوية، دولة « تيوقراطية »[2] مُستمِدَّة سلطانها من الله، وسياستها(سياسة مِلِّية) كان العباسيون يجعلون حقهم في الإمامة قائمًا على أنهم سلالة البيت النبوي، .وكانوا كذلك يقولون إنَّهم سيشيدون على أطلال الحكومة الموسومة بالزَّندقة عند أهل التُّقَى نظامًا مُنطبقًا على سنة النبي وأحكام الدين الإلهي، ويُلاحظ أن المَثَل الأعلى للسياسة الفارسية، وهو الاتحاد الوثيق بين الدين والحكومة، كان برنامج الحكم العباسي، ولم تنتَهِ المحاولات الجزئية التي تناولت علوم التشريع في عهد الأمُويين إلى طريقة عملية تجمع أبواب الفقه. وبقيام الدولة الجديدة آنَ لنهضة التشريع الإسلامي أن تُزْهِر بعدما نشأت ضعيفة مُتضائلة، وكما أرُيد جَمْع الأحكام الشرعية للحاجة إليها في ضبط أمور الدولة على منهاج شرعي، تقررت أصول أربعة لاستنباط الأحكام الشرعية الفقهية، وهي: القرآن، والسنة، والقياس، والإجماع. واعترف علماء الدين بها، وكان الاختلاف بينهم على حسب اختلافهم في كثرة الاعتماد على أصل من الأصول دون الآخر، وفي الركون إلى بعض الأحاديث المُتضاربة دون بعض، ونشأ عَمَّا بين هذه النزعات من تباين مناهج مُختلفة في أحكام الوقائع

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص (١٢٦- ١٢٧) ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

(٢) كلمة مأخوذة من كلمتين يونانيتين، إحداهما تيوس بمعنى لله، وقراطوس بمعنى قوة أو سلطان، وهي عبارة عن الجماعة التي تعتبر سلطان الحكم من أمر لله يتولاه بواسطة سفرائه.

الجزئية وفي بعض طرائق الاستنباط، وهم يُسمونها« مذاهب » واحدها « مذهب » بمعنى وجهة أو طريقة، ولا يُريدون معنى البدعة بحال من الأحوال؛ ذلك بأنَّ اختلاف المذاهب في الفقه قام على أساس من التسامح والتعاون على خدمة الدين، وإنَّما نجمت مظاهر الروح المذهبي وانساقت في سبيل التعصُّب منذ طغى سلطان الغرور من جانب الفقهاء"

هذا الذي بَيَّناه من أقوال جولدزيهر يكادُ يجمع خلاصة ما توجَّهت إليه أبحاث المستشرقين في الموضوع الذي نحن بصدده، وجملتُه أنَّ أصُول الفقه تأثرت في تكوينها بعناصر أجنبية كما تأثر الفقه نفسه.

وأنَّ القياس والإجماع إنما تقررا أصلين من أصول الاستنباط للأحكام الشرعية حينما تكوَّن الفقه في عهد العباسيين، وإن كانت طلائع النزوع إليهما في زمن الأمويين. وأنَّ المذاهب الفقهية نشأت مع تكوُّن الفقه واستقرار أصوله، وأساس الخلاف بينها كثرة الاعتماد على بعض الأصول دون بعض، والأخذ ببعض الأحاديث دون بعض".[١]

كان لابد من إثبات هذا النص المطول لندرك من خلاله جهد الشيخ في تقرير رأى هؤلاء المستشرقين، في محاولتهم نفى الأصالة عن الفقه الإسلامي، وإثبات أنه تأثر في نشأته وتطوره بمؤثرات أجنبية خارجة عن الإسلام، سواءً أكانت هذه المؤثرات مسيحية كما يرى كار دى فو أو يهودية كما يرى جولدزيهر.

وفى رد الشيخ على هذه الأكاذيب ذكر رأى علماء الإسلام في هذه المسألة فقال تحت عنوان منزع علماء الإسلام في الفقه وتاريخه:

" أمَّا علماء الإسلام، فمنهم مَن يرون أنَّه على عهد النبي كانت الأحكام تُتلقَّى منه بما يُوحَى

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٣ص(١٣٦-١٣٧) .

إليه من القرآن ويُبيِّنه بفعله وقوله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس، ومن بعده – ﷺ – تَعَذَّر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر، وأَجْمَعَ الصَّحَابة على وجوب العمل بما يصل إلينا من السُّنة، قولًا أو فعلًا، بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه، وأجمع الصحابة على النكير على مُخَالفيهم مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة، فصار الإجماعُ دليلًا ثابتًا في الشرعيات، ثم إنَّ كثيرًا من الواقعات بعده صلى الله عليه وسلم لم تندرج في النصوص الثابتة، فقاسها الصحابة بما نص عليه، وصار ذلك دليلًا شرعيًّا بإجماعهم عليه.

ذلك ما يقوله ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م في «المقدمة» (الفصل التاسع في أصول الفقه).

وقد أشار ابن خلدون، في الفصل السابع في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض، إلى أسباب الاختلاف بين علماء التشريع ونشوء المذاهب؛ إذ يقول:" الفقه معرفة أحكام الله – ﷻ – في أفعال المُكلَّفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي مُتلقَّاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة، قيل لها فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم، ولا بدَّ من قوعه ضرورة أنَّ الأدلة غالبها من النصوص وهي بلُغة العرب. وفي اقتضاء ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف، وأيضًا فالسُّنة مختلفة الطرق في الثبوت، وتتعارض في الأكثر أحكامُها فتحتاج إلى الترجيح، وهو مختلف أيضًا. فالأدلة من غير النصوص مختلف فيها، وأيضًا فالوقائع المُتجددة لا تُوَفِّ بها النصوص، وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيُحمَل على منصوص لمشابهة بينهما، وهذه كلها إشارات للخلاف ضرورية الوقوع، ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم"[١]

(١) مقدمة ابن خلدون ص (٤٩٥) ط المكتبة التوفيقية بدون تاريخ وانظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص (١٣٠ – ١٣١) ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

وبعد ذكر رأى علماء الإسلام عقد الشيخ موازنة بين رأى المستشرقين ورأى علماء الإسلام:

(أ) موازنة بين نظرية المستشرقين ونظرية ابن خلدون.

والذي يعنينا في هذا المقام هو أن نُميِّز بين النظريتين فيما يتعلق بالرأي؛ نظرية المستشرقين، ونظرية ابن خلدون. والنظريتان متفقتان على أنَّ الرَّأي وُجد بعد زمن النبوة حين لم تَعُدِ النصوص كافية لما يلزم الجماعة من قوانين، وتختلف بعد ذلك النظريتان.

فيذكر ابن خلدون نشأة الإجماع والقياس، بل والسنة المنقولة بالرواية لا المعتمدة على المُشاهدة والخطاب الشفاهي على أنَّها أصول إسلامية للأحكام الشرعية اتفق عليها الصحابة بعد عهد الرسول، ولا يُشير إلى عامل خارجي في هذه النشأة.

والمرحوم الشيخ محمد الخضري بك في كتابه «تاريخ التشريع الإسلامي» يتفق مع ابن خلدون من كل وجه، لكن جولدزيهر يُقرِّر أن هذين الأصلين — الإجماع والقياس — إنما وُجدا في الإسلام بعد اتصاله بالقانون الروماني فيما استولى عليه من البلاد التي كانت تابعة للرومانيين، فلا يخلو نشوء هذين الأصلين وتكوُّنهما من أثر القانون الروماني"[1].

مذهب ابن القيِّم وابن عبد البر من قبله.

أمَّا ابن قيِّم الجوزية فيُصَرِّح في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين» بأنَّ الرأي وُجد بين الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول:" وقد اجتهد الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، في كثير من الأحكام ولم يُعنِّفهم، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قُرَيْظَة، فاجتهد بعضهم وصلاها في الطريق،

وقال: لم يُرِد منَّا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص (١٢٨- ١٢٩) ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م.

وأخَّروها إلى بني قريظة، فصـلَّوْها ليلًا، نظروا إلى اللفظ، وهؤلاء سـلف أهل الظاهر، وأولئك سلف أصحاب المعاني والقياس"[١]

وسـبق لنا أن نقلنا مثل هذا النص عن ابن عبد البر في كتاب (مُختصـر جامع بيان العلم وفضله)[٢]

ويقول ابن القيِّم في موضع آخر: " والمقصود أنَّ أحدًا ممن بعدهم (أي: الصحابة) لا يُساويهم في رأيهم، وكيف يُسـاويهم، وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته كما رأى عمر في أسارى بدر أن تُضرَب أعناقهم فنزل القرآن بموافقته[٣]، ورأى أن تُحجَب نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن بموافقته[٤]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) جـ ١ ص (١٥٥-١٥٦) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) مختصـر جامع بيان العلم وفضـله وما يجب في روايته وحمله. لابن عبد البر. اختصـره الشـيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي. "مطبعة الموسوعات". الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠هـ.

(٣) استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر — رضي الله عنهما — في أسارى بدر، فقال أبو بكر رضي الله عنه قومُك وأهلُك استعن بهم لعل الله يتوب عليهم، وخُذ منهم فدية تتقوَّى بها على الكفار، وقال عمر رضي الله عنه: كذَّبوك، وأخرجوك، قدِّمْهم فاضـرب أعناقهم، فإنَّ هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله — تعالى — أغناك عن الفداء. فمال النبي صـلى الله عليه وسـلم إلى رأي أبي بكر، فنزل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْـرَى ...﴾ إلى آخِر الآيات الثلاث. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نزل بنا عذاب ما نجا إلا عمر (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) ج ٤، ص(٢٨- ٢٩) ط دار الكتاب الإسلامي بدون تاريخ).

(٤) قال الطبري في تفسـير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ...﴾ (سـورة الأحزاب آية٥٣) وقيل: نزلت من أجل مسألة عمر رسـول لله صـلى الله عليه وسـلم وروى بسـنده عن النبي قال: قال عمر بن الخطاب: قلت : يا رسـول لله، إنَّ نسـاءك يُدخِلْنَ عليهن البَرَّ والفاجِر، فلو أمرتَهن أن يحتَجِبْنَ؟

=

وهذه نظرية غير النظريتين الأوليين، تُقَرِّر أنَّ الرأي وُجد مع الكتاب والسنة في عهد النبي، وأنَّ العناصر التي كوَّنت المذاهب المُختلفة في التشريع الإسلامي عندما شرع في تدوين الفقه، وُجِدَت في عهد النبي أيضًا.

ومذهب ابن قيِّم الجوزية، وابن عبد البر من قبله، يُوافق ما بيَّنَّاه آنفًا، من أنَّ الرَّأي نشأ منذ عهد الإسلام الأوَّل في ظل القرآن ورعايته، وهذا هو المذهب الذي نرضاه، وسيزيده ما نورده بعدُ بيانًا وتوكيدًا"[1].

نظرة إجمالية.

"وجُملة القول: إن الرَّأي بمعناه العام نشأ في التشريع الإسلامي مع القرآن والسُّنة منذ عهد النبي على المذهب الذي نرجِّحه، أو هو نشأ بعد عهد النبي وظل الرأي أصلًا من أصول التشريع يُستعمَل كثرة وقلة، وضيقًا وسعة، على حسب الحاجة إليه بكثرة السُّنَن المروية كما في الحجاز، وقلَّتها كما في العراق.

فلمَّا انتهت الخلافة إلى العباسيين ونهضوا لإحكام الصلة بين دولتهم وبين الشرع، كما بيَّنه جولدزيهر، ونشأت العلوم وأُخِذ في تدوينها، تكوَّنت المذاهب الفقهية، ووضع علم أصول الفقه، وظهرت الخلافات بين المذاهب ظهورًا واضحًا في الفروع وفي الأصول، فكان أهل العراق أهل الرأي، يتوسَّعون في استعماله ما لا يتوسع غيرهم، وإمامهم الذي بقي مذهبه إلى اليوم هو أبو حنيفة المُتوفى سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م، وكان أهل الحجاز أهل الحديث لوفرة حظهم منه، وما ترتب على

قال: فنزلت آية الحجاب(جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)ج ٢٠ ، ص ٣١٢ تحقيق أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص (١٣١ - ١٣٣) ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

ذلك من قلة استعمالهم للرأي، مع اعترافهم بأنَّه أصل من أصول التشريع، وإمامهم الذي انتشر مذهبه واستقرَّ هو مالك بن أنس المُتوفى سنة ١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م.

وتوسَّط بين أهل الحديث وأهل الرأي محمد بن إدريس الشافعي المُتوفى سنة٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م، وهو الذي وضع نظام الاستنباط الشَّرعي من أصول الفقه، وحدَّد مجال كل أصل من هذه الأصول في رِسالته في أصول الفقه، ويُعتبر هذا المذهب أدنى إلى أصحاب الحديث؛ لذلك نشأ من بين أتباعه الإفراط في احترام الفقه المأخوذ من النصوص، نشأ ذلك أولًا في مذهب أحمد بن حنبل المُتوفى سنة ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م. ثم نشأ أشد وأقوى في مذهب الظاهرية، وهو المَذهب الذي أسَّسه داود بن علي الأصفهاني المُتوفى سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م، وداود هو أول مَن استعمل قول الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة، وألْغَى ما سوى ذلك من الرأي والقياس.

وقد كُتب البقاء للمذاهب الأربعة الأولى المعمول بها عند جمهور المسلمين إلى اليوم، وكُتب لها التغلُّب على سواها من مذاهب.

هذا وَإنَّا وإن كُنَّا نرى الدلائل مُتضافرة على أن الرأي نشأ في التشريع الإسلامي منذ نشأ الإسلام، ومن قبل أن يمتدَّ به الفتح إلى ما وراء البلاد العربية، فإنا لا ننكر أنه كان في تدوينه وتفريعه وضبط قواعده موضعًا للتأثر بعناصر خارجية، حتى لقد انتهى علم« أصول الفقه » بأن جمع من مسائل المنطق وأبحاث الفلسفة والكلام شيئًا غير قليل، ويقول أهل هذا العلم إن مبادئه مأخوذة من العربية وبعض العلوم الشرعية والعقلية، على أنَّ هذا لا يمس ما قررناه من أنَّ النظر العقلي نشأ أصلًا من أصول التشريع في الإسلام يؤيده ويحميه. ولم تنزل مكانة الرأي في الفقه الإسلامي إلا من يوم أن جاء دور الجمود، ووقف العلم والعمل بين المسلمين عند حدٍّ محدود"[١].

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق جـ ٣ص (١٤٠-١٤٢) بتصرف.

"والتنافس بين المذاهب الأربعة على الغلبة والانتشـار قديم يرجع إلى عهودها الأولى، ولعل بعض آثاره لا تزال باقية إلى اليوم، ولئن كان هذا التنافس قد أدى في بعض الأحايين إلى إثارة أحقاد وفتن بين العامة، فإنه في أكثر أمره كان سبب حياة عقلية، ونشاط فكرى وتسابق إلى الإتقان والكمال في البحث العلمي، فإن أهل كل مذهب كانوا لايفتؤون يتفننون في جعل مذهبهم ميسرًا لأفهام الناس وأذواقهم، متسعًا لما يتجدد من حاجاتهم، متميزًا بلطف الاستنباط وجسن التخريج، وكثرة الجمع للمسـائل، وجودة التأليف، حتى أصـبحت علوم الأحكام الشـرعية أكمل مظهر للمجهود العقلي العظيم في الإسلام بوفرة أبحاثها ومؤلفاتها التي لا يحصى عديدها، وبما في كثير من هذه المؤلفات والأبحاث من ابتكار وأبداع، لا جرم كان التراث الفقهي الإسـلامي من أنفس ما ادخر البشـر من مباحث المتفقهين"(١)

ويلخص الشيخ مصطفى عبد الرازق رده على المستشرقين بقوله: **تحت عنوان مظاهر التفكير الفلسفي في الرسالة يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق :**

" وإذا كنَّا نَلمَح في (الرِّسالة) نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام من ناحية العناية بضبط الفروع والجزئيات بقواعد كلية، وإن لم تغفل جانب الفقه؛ أي استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلَّتها التفصيلية؛ فإنَّا نَلمَح للتفكير الفلسفي في الرسالة مظاهر أخرى.

منها هذا الاتجاه المنطقي إلى وضع الحدود والتَّعاريف أولًا، ثم الأخذ في التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم، وقد يَعْرِضُ الشافعي لسرد التعاريف المُختلفة ليُقارن بينها، وينتهي به التمحيص إلى تخيُّر ما يرتضيه منها.

---

(١)الشافعي واضع علم أصول الفقه للشيخ مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ١ ص (٤٤٣-٤٤٤) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

ومنها أسلوبه في الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعانيه، حتى تكاد تحسبه لما فيه من دِقَّة البحث ولُطف الفهم، وحُسن التصرف في الاستدلال، والنقض ومُرَاعاة النظام المنطقي، حوارًا فلسفيًّا على رغم اعتماده على النقل أولًا وبالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة.

ومنها الإيماء إلى مباحث من عِلم الأصُول تكاد تهجم على الإلهيات أو علم الكلام؛ كالبحث في العلم، وأنَّ هناك حقًّا في الظاهر والباطن وحقًّا في الظاهر دون الباطن، وأنَّ المُجتهد مُصيبٌ أو مُخطئٌ معذور، والفرق بين القرآن والسنَّة، وعِلَل الأحكام، وترتيب الأصول بحسب قوتها وضعفها، وقد استدل الشافعي على حجِّيَّة السنة وما دُونَها من الأصول؛ فلَفَتَ الأذهان إلى حُجِّية القُرآن نفسه، وهي مسألة وثيقة الاتصال بأبحاث المُتكلمين"[1]

وهكذا أثبت الشيخ أن الفقه الإسلامي أصيل في نشأته وتطوره، وأنه وليد البيئة الإسلامية.

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص (٢١٦) ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

المبحث الثالث

هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول: هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية وموقف الشيخ منه.
- المطلب الثاني: هجوم المستشرقين على التصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه.
- المطلب الثالث: شعب الفكر الإسلامي كما يراها الشيخ مصطفى عبد الرازق.

المطلب الأول: هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية وموقف الشيخ منه.

ناقش الشيخ ما تعرضت له الفلسفة الإسلامية من هجوم من ناحية المؤلفين الغربيين مدعين أنها ترديد للفلسفة اليونانية، وأن تعاليم الإسلام تتنافى مع البحث الحر، وأن طبيعة العرب تتعارض مع الفكر والنظر، وبين أنهم بنوا ادعاءاتهم على اتجاهين:

-**الاتجاه الأول:** يقوم على التعصب الديني وتزعم هذا الاتجاه (تنمان وتبعه كوزان) حيث عدد تنمان عقبات منعت المسلمين من تقدمهم العلمي هي:

١- كتابهم المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر .

٢- حزب أهل السنة وهو حزب مستمسك بالنصوص.

٣- جعلهم لأرسطو سلطانا مستبدا على عقولهم بالرغم من الصعوبات التي صادفتهم في تفهم مذهبه.

٤- ما في طبيعة العرب من ميل إلى التأثر بالأوهام.[١]

وينقل الشيخ عن تنمان بعد ذلك تصنيفه للفلاسفة العرب على حد تعبيره فيقول: "في فصل عنوانه فرق الفلاسفة عند العرب: كان يوجد غالبًا عند العرب طائفتان من الفلاسفة عظيمتان،

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص٥ ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

إحداهما: طائفة الفلاسفة على الحقيقة، وهم من القائلين بالوجود المثالي، يعتقدون تبعًا للمذهب الأفلاطوني الإسكندري أن العالم قديم، ويبحثون عن سبيل لوصل هذه الفكرة بالدين المنصوص، ويدخل في هذا القسم الزهاد الذين هم الصوفية.

والثانية: طائفة فلاسفة جدليين أهل نظر عقلي هم المتكلمون أو المتشاؤون الذين تقوم عقائدهم على الأصول الدينية الواردة في القرآن، ثم يحاولون أن يبينوا مبدأ العالم على وجه فلسفي، وهم يقاومون الأولين، وعلمنا بأمر الفريقين لا يزال علمًا ناقصًا، ثم يعدون طائفة ثالثة هي طائفة الأشعرية المؤلفة من جبرين لا يرون للأشياء عللًا إلا إرادة الله.(١)

وبعد ان ذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق وجهة نظر تنمان المبنية على التصعب الديني يقول:

" والذي يعنينا أن نلاحظه هو:

أ. أن تنمان ينسب الفلسفة التي نحن بصددها إلى الشعب العربي.

ب. ويعتبر هذه الفلسفة شاملة لما يسمى فلسفة على الحقيقة مع اتصل به عرضًا في بعض الأطوار من منازع الإشراقيين، وشاملة لمذهب المتكلمين.

ج. ثم هو يجعل هذه الفلسفة ليست في الغالب إلا شرحًا مضعفًا لمذهب أرسطو ومفسريه، وإلا تطبيقًا لهذا المذهب على قواعد الدين العربي.

د. ويعدد العقبات التي عاقت سير الفلسفة عند العرب فيردها إلى دينية: وهي القرآن، وحزب أهل السنة، وقومية: وهي استعداد العرب للتأثر بالأوهام، وخضوع عقولهم لسلطان أرسطو.

هـ. ثم ينتهي إلى الاعتراف المكرر بأن مصنفات الفلاسفة من العرب لم تدرس حق دراستها."(٢)

ويري الشيخ أن حديث تنمان عن العوامل المثبطة لرقى الفلسفة عند العرب لا يخلو من نفحة

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص ١٣ ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

(٢) المرجع السابق ص١٣-١٤.

العاطفة الدينية، وتلك كانت يومئذ روح العصر، فقد غلب على مؤلفي القرن التاسع عشر الميلادي روح التعصب الديني فينقل الشيخ عن (فكتور كوزان) [١] أحد المشتغلين بتاريخ الفلسفة مقارنته بين المسيحية والأديان الأخرى يظهر من خلالها تمكن روح العصبية الدينية عند هؤلاء فيقول في محاضرة له في تاريخ الفلسفة بجامعة باريس: " أيها السادة: المسيحية التي هي آخِر ما ظَهَر على الأرض من الأديان، هي أيضًا أكملها، والمسيحية تمام كل دين سابق، وغاية الثمرات التي تمخَّضت عنها الحركات الدينية في العالم، وبها خُتمت؛ الدين المسيحي ناسخٌ لجميع الأديان ... كذلك كان الدين المسيحي إنسانيًا واجتماعيًا

إلى أقصى الغايات، ومَن أراد دليلًا فلينظر ماذا أخرجتِ المسيحية وجماعة المسيحيين للناس: أخرجتِ الحرية الحديثة والحكومات النِّيابية، ثم لينظر من دون المسيحية ماذا أخرجتْ منذ عشرين قرنًا سائر الأديان. ماذا أنتج الدِّين البرهمي والدين الإسلامي، وسائر الأديان التي لا تزال قائمة فوق ظهر الأرض؟

أنتج بعضها انحلالًا موغلًا، وبعضها أثمر استبدادًا ليس له مدًى.

أمَّا أوروبا المسيحية فهي- لا سواها - مهْد الحرية، ولو أنَّ المقام والوقت يُسعِفان، لأثبتُّ لكم أنَّ المسيحية التي كانت الحكومات النيابية ثمرة لها هي التي تستطيع وحدها أن تقوِّم هذه الصورة العجيبة من صور الحكم التي تؤلف بين النظام والحرية، والمسيحية أيضًا هي التي بعد أن صانت ذخائر الفنون والآداب والعلوم بعثتْها بعثًا قويًا، المسيحية هي أصل الفلسفة الحديثة"[٢]

دحض هذه الادعاءات:

أولا: يقال لهم جميعا لقد خالفتم أهم شروط البحث العلمي، إذ من أهم صفات الباحث النزيه أن

(١) فيلسوف فرنسي توفي سنة ١٨٤٧ م.

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

يتجرد من كل غرض أو هوى، سواء كان ذلك دينيا أو عاطفيا.

ثانيا: وكيف يعوق القرآن الكريم النظر الحر وهو يحمل بين دفتيه مئات الآيات التي تدعو إلى التفكير والتأمل والتدبر ففيه آيات لقوم يعقلون – ولقوم يعلمون وآيات لأولى الألباب.

ثالثا: أن أهل السنة أو غيرهم من علماء الكلام لم يكونوا بواقفين أمام البحث العقلي الحر، بل إنهم في استدلالاتهم أيدوا النص الديني بأدلة عقلية، أما إنكم لم تقفوا على حقيقة مذهبهم فإن هذا لا يعيب أهل السنة.

رابعا: أما عن اختيار العرب لأرسطو دون غيره، فإن مذهبه العقلي يتلاءم مع ميل العرب الوضعي، كما أن منطقه كان يعتبر سلاحا في المجادلات الكلامية، فآثروه عن مذهب أفلاطون المثالي، كما أن الفلسفة الإسلامية ليست كلها متأثرة بأرسطو فقط، فهي أخذت من المذاهب ما يعجبها ويتلاءم مع وضعها ولفظت الآخر.

- **الاتجاه الثاني:** يقوم على التعصب الجنسي وتزعم هذا الاتجاه (إرنست رنان)[1] حيث قسم الناس إلى ساميين والآريين وأن الجنس السامي دون الجنس الآرى، فالنفس السامية تنساق بفطرتها إلى التوحيد من جهة الدين، وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية، أما النفس الآرية فيميزها ميل فطرى إلى التعدد وانسجام التأليف"[2]

ويواصل الشيخ حديثه على رنان وتعصبه فيقول:" ويصرح رنان في كتاب (تاريخ اللغات

(١) فيلسوف فرنسي ولد في مدينة تريجة من أعمال بريتانيا بفرنسا ودخل المدارس اللاهوتية، وتضلع من اللغات الشرقية حتر صار من ثقاتها، رحل إلى المشرق ونزل بلبنان، وعنى بالعقائد الإسلامية، من آثاره كتاب ابن رشد والرشديين، وتاريخ اللغات السامية، وتاريخ الأديان، وكتاب حياة يسوع توفى سنة ١٨٩٢ م(المستشرقون نجيب العقيقى جـ ١ ص ١٩١).

٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبدالرازق ص٩ ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ.

السامية) بأنه أول مَن قرر أن الجنس السامي دون الجنس الآري، وتأثَّر برنان بعض معاصريه، ومَن جاء بعده؛ لوثوقهم بمعرفته في هذا الشأن؛ إذ هو قد عرف لغات سامية، وزار الساميين في بلادهم.

ومما ورد في كتاب رنان (ابن رشد ومذهبه) ما يكون لنا أن نلتمس عند الجنس السامي دروسًا فلسفية، ومن عجائب القدر أن هذا الجنس الذي استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة في أسمى درجاتهم لم يُثمر أدنى بحث فلسفي خاص، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباسًا صرفًا جديبًا وتقليدًا للفلسفة اليونانية، وبذلك أدخل رنان في المباحث المتعلقة بتاريخ الفلسفة عند العرب دعوى الطبيعة السامية وجعلها أساسًا للحكم على تلك الفلسفة"[(١)]

ويرد الشيخ على هذا الكلام بمنطقه المعهود وحجته البالغة مبينًا ما وقع فيه رنان من اضطراب وتناقض فيقول:" ورأي رنان في الفلسفة عند العرب لا يخلو من اضطراب؛ فهو يقول في مؤلَّفه (تاريخ اللغات السامية): ومن الخطأ وسوء الدلالة بالألفاظ على المعاني أن نُطْلِقَ على فلسفة اليونان المنقولة إلى العربية لفظ " فلسفة عربية" مع أنَّه لم يَظهَر لهذه الفلسفة في شبه جزيرة العرب ، مبادئ ولا مُقَدِّمات، فكل ما في الأمر أنَّها مكتوبة بلغة عربية، ثم هي لم تزدهر إلا في النواحي النائية عن بلاد العرب مثل إسبانيا ومراكش وسمرقند، وكان معظم أهلها من غير الساميين.

وهو يقول في كتابه (ابن رشد ومذهبه) مرة، هذا القول: لا يزال حكمي بأن مباحث العقائد الدينية لم يكن لها كبير شأن في نشأة هذه الفلسفة العربية حكمًا جازمًا، وما صنع العرب شيئًا إلا أنهم تلقَّوْا جملة المعارف اليونانية في صورتها التي كان العالَم كله مسلِّمًا بها في القرنين السابع والثامن.

ثم نجده يقول مرة أخرى:

اتخذ العربُ من تفسير آراء أرسطو وسيلةً لإنشاء فلسفة ملأي بالعناصر الخاصة، المُخالِفة

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص ١٦ ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

جد المخالفة لما كان يدرس عند اليونان، وكذلك فعل فلاسفة القرون الوسطى.

ويقول غير ذلك: إنَّ الحركة الفلسفية الحقيقية في الإسلام ينبغي أن تُلتَمَس في مذاهب المتكلمين.[١]

ويعلق الشيخ على كلام رنان السابق بقوله: " ويُستخلَص من أقوال رنان المختلفة بعد تجريدها من زينة البلاغة، وخيال الشعر، ووثبات الحماسة، والهوى، والتناقض: أن هناك فلسفة عربية هي تعريب الفلسفة اليونانية، وهناك فلسفة إسلامية هي علم الكلام. ويُصَرح رنان في كتبه بأنَّ في هذه الفلسفة الإسلامية موضعًا للطرافة.

ولعل رنان أوَّل مَن استعمل في الغرب كلمة الفلسفة الإسلامية ثم إنَّ رنان لا يرى رأي مَن سبقه في أنَّ العرب آثروا أرسطو على مَن عداه من فلاسفة اليونان وخصوه بالتقدير؛ فهو يذكر في كتاب (ابن رشد ومذهبه) إن الأسباب التي يعلِّلون بها في العادة إيثار العرب لأرسطو هي أقرب إلى التمويه منها إلى الحق، فإنَّ العرب لم يؤثروا، إذا لم يكن ثمت اختيار عن روية، إنما تقبَّل العرب معارف يونان كما وصلتْ إليهم.

وجملة القول: أنَّ رنان الذي هو خصيم الجنس السامي والدين الإسلامي جميعًا، كان فيما يتعلق بالفلسفة شديد الشكيمة على ما سَمَّاه فلسفة عربية لكنه ألْيَن جانبًا لما دعاه فلسفة إسلامية[٢]"

نقد معاصري رنان لحكمه :

أورد الشيخ في رده على رنان نقولًا عن نقد المعاصرين لرنان لموقفه المتعصب تجاه الفلسفة الإسلامية يصفه الشيخ بقوله" أنا نَجِدُ من مُعاصري رنان الفرنسيين مَن يرميه بالحَيْف في حكمه

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ٣ص(١٦-١٧) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٢) المرجع السابق ص (١٧-١٨).

على الفلسفة عند العرب"[١] فيذكر الشيخ أن دوجا له كتاب بعنوان (تاريخ الفلاسفة و المُتكلمين من المسلمين([٢] نقد فيه آراء من ذهب إلى تجريد العقلية الإسلامية والعربية من الابتكار فيقول معلقًا على ذلك الموقف المتعصب بعد أن ذكر رأى رنان و شمويلدرز الألماني في نفيهم لوجود فلسفة عربية " فعند هذين العالِمين ليست الفلسفة العربية إلا تقليدًا للفلسفة اليونانية ، ولم يكن لها أي نتاج خاص .وهذه أحكام تذهب في البت إلى حدِّ الشطط، ومصدرها سوء التحديد للفلسفة وجهلنا بما للعرب من مصنفات غير شروحهم لمؤلفات أرسطو.

وما أسُوقُ إلا شاهدًا واحدًا:

فهل يظن ظان أن عقلًا كعقل ابن سينا لم يُنتِج في الفلسفة شيئًا طريفًا، وأنه لم يكن إلا مقلِّدًا لليونان؟

وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثمارًا بديعة أنتجها الجنس العربي؟

وعندي أنَّ طريقة العالِم (منك) في التعريف بهذه الفلسفة أدنى إلى السداد.

وقول منك، على ما ذكره دوجا، هو:

يمكننا أن نقول في الجملة إنَّ الفلسفة لدى العرب لم تتقيَّد بمذهب المشَّائين صرفًا، بل هي توشك أن تكون تقلَّبت في كل الأطوار التي مر بها العالَم المسيحي؛ ففيها مذهب أهل السنة الواقفين عند النصوص، ومذهب الشك، ومذهب التولد، بل فيها مذاهب شبيهة بمقال اسبينوزا ومذهب وِحْدة الوجود الحديث.

وبعد ما بيَّن دوجا اختلاف الأقاويل في الفلسفة والغرض منها اختار أنَّ غرض الفلسفة هو تكوين عقائد جديدة، ثم قال: مَن أراد أن يحكم في خصائص الفلسفة العربية حُكمًا سديدًا فعليه أن

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٣ص ١٨.

(٢) ذكر الشيخ أن الكتاب مطبوع بباريس سنة ١٨٨٩ م.

ينظر إليها من ناحية إصلاحها للعقائد، وتلك كما بيَّنَّا آنفًا حقيقة الغرض الذي ترمي إليه الفلسفة.

وعندي أنَّ النظر العقلي العربي كان على الحقيقة محاولة لإصلاح القرآن، وتكميل الإسلام؛ حاول ذلك المعتزلة قادة الحركة الفلسفية لدى المسلمين ... وقد أنكروا عقيدة أنَّ القرآن غير مخلوق؛ وهم يقولون إنه كان من المستطاع أن يؤتى بخير منه، وهذا التعرُّض لكتاب المسلمين المقدس بالبحث يكاد يكون من نوع ما فعل فلاسفة الأوروبيين في تمحيص التوراة والإنجيل كما تُمحَّص سائر الكتب.

وكذلك صنع داود اشتروس ورنان في مؤلفاتهما، ومُنْك إذ يقول: إن الفلسفة العربية تقلَّبت في جميع الأدوار التي مرت بها الفلسفة المسيحية يُخالف قول تنمان: إن كتاب الإسلام المقدس يعوق النظر العقلي الحر ويُثبِت أنَّ الإسلام ليس دون المسيحية اتساعًا لنمو الفلسفة وتطوُّرها، وهو أيضًا بقوله هذا لا يؤيد دعوى انحطاط الجنس السامي عن الجنس الآري فيما يتعلق بالبحث الفلسفي.

ولمُنْك رأيٌ مُخالِف لرأي رنان في اختيار المُسلمين لأرسطو يبيِّنه كما يلي:

اختير أرسطو من بين الفلاسفة؛ لأنَّ منهجه التجريبي أدنى إلى موافقة ميل العرب العلمي الوضعي من منهج أفلاطون المثالي، ولأنَّ منطق أرسطو كان يعتبر سلاحًا مجديًا في المنازعات المُستمرة بين أهل المذاهب الكلامية.

ومقال منك هذا يناقض رأي رنان في سبب إيثار العرب لأرسطو، ويناقضه أيضًا في دعوى الطبيعة السامية المجدبة في الفلسفة، فإنَّ الطبيعة العلمية الوضعية التي تلائم طبيعة أرسطو لا تكون جدبة من النَّاحية الفلسفية إلا إذا كانت طبيعية أرسطو المعلم الأوَّل جدبة من الناحية الفلسفية."[1]

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق جـ٣ص (١٩-٢٠).

تلخيص اختلاف الرأي ما بين بداية القرن التاسع عشر ونهايته.

"كان الرأي العلمي عند الغربيين في الفلسفة العربية مُستهل القرن التاسع عشر مبنيًّا في جملته على القضايا الخمس التي استخلصناها من مقال تنمان، والتي كانت يومئذٍ تكاد تكون من المسلَّمات فيما يَظهَر، وفي أواخر ذلك القرن اختلف النظر في تلك الأحكام، ولم تَعُد مسلَّمة ما عدا قضية واحدة لعلها لا تزال إلى اليوم غير مكذَّبة: وهي أنَّ مُصنفات الفلاسفة الإسلاميين لمَّا تُدرَس حق دراستها؛ فلا اتفاق على التعبير بالفلسفة العربية نِسْبَة إلى الجنس العربي، ولا على بيان ما تَشْتَمل عليه هذه الفلسفة، ولا على أن الفلسفة العربية بأقسامها شرح مضعِف مشوِّه لمذهب أرسطو ومفسريه، وتطبيقٌ لهذا المذهب على نصوص الدين الإسلامي، ولا اتفاق على ما دَعَوْه عقبات ثبَّطت رقي الفلسفة الإسلامية.

دخلت كل هذه النَّظريات في دَوْر تمحيص علمي، وهدأتْ رويدًا سَورَة العصبية والهوى"[(١)]

ثم انتقل الشيخ بعد ذلك للحديث عن موقف الغربيين من الفلسفة الإسلامية في القرن العشرين

آراء الغربيين في الفلسفة الإسلامية في القرن الحاضر[(٢)].

وجاء القرن الحاضر، فماذا كان شأن الفلسفة الإسلامية عند الغربيين في القرن الحاضر؟

الخلاف في التسمية: إسلامية أو عربية؟

لا يزالون مختلفين في الوصف الذي يصفون به هذه الفلسفة؛ فمنهم مَن يقول: فلسفة عربية لأنَّ رجالها كانوا يكتبون آثارهم بالعربية، كما فعل موريس دي ولف الأستاذ بجامعة لوفان في كتابه (تاريخ فلسفة القرون الوسطى) الذي نعتمد على طبعته الخامسة سنة ١٩٢٥، وكما فعل الأستاذ برهيه الأستاذ بالسربون في كتابه الكبير في تاريخ الفلسفة الذي ظهر أول أجزائه عام ١٩٢٦ م ويقتفي

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ٣ص (٢١).

(٢) يقصد الشيخ القرن العشرين.

الأستاذ لطفي باشا السيد أثر هؤلاء في تصديره لتعريب كتاب أرسطو (الأخلاق إلى نيقوماخوس) فهو يعبِّر بالفلسفة العربية.

ومنهم مَن يقول: فلسفة إسلامية مثل هورتن الألماني العالِم بالإسلاميات ومحرِّر الفصل الذي عنوانه (فلسفة) في دائرة المعارف الإسلامية، ومثل دي بور في كتابه) في تاريخ الفلسفة الإسلامية)، ومثل جوتييه، والبارون كارا دي فو وغيرهم. ويظهر أنَّ هؤلاء يَرَوْن أن هذه الفلسفة ليست عربية؛ لأنَّ جمهرة أهلها لم يكونوا من أصل ساميٍّ، ويرون أنها أحق أن تُضاف إلى الإسلام لأنَّ له فيها أثرًا ظاهرًا، ولأنها نشأت في بلاد إسلامية وعاشت تحت راية الإسلام".[١]

ويحسم الشيخ القول الفصل في المسألة بتسميتها بالفلسفة الإسلامية لأن أصحابها سموها بهذا الاسم فيقول تحت عنوان: " الرأي المختار في التسمية وعندي أنَّ هذه الفلسفة قد وَضَع لها أهلها اسمًا اصطلحوا عليه؛ فلا يصح العدول عنه، ولا تجوز المشاحَّة فيه. فإنا نجد مثلًا في كتابَيِ النجاة والشفاء لابن سينا التعبير بالمتفلسفة الإسلامية، ونجد في كتاب الِملَل والنِّحَل للشهرستاني استعمال كلمة فلاسفة الإسلام، ووردت عبارة فلاسفة الإسلام وحكماء الإسلام في كتاب أخبار الحكماء ومقدمة ابن خلدون"[٢]

ونعود إلى تقرير موقف الفلسفة الإسلامية عند الغربيين في القرن العشرين، مستندين إلى أقوال المؤلفين المعاصرين، فنُجمل هذا الموقف في الوجوه الآتية:

(أ) تلاشى القول بأنَّ الفلسفة العربية أو الإسلامية ليست إلا صورة مشوَّهة من مذهب أرسطو ومفسِّريه أو كاد أن يتلاشى، وأصبح في حكم المُسَلَّم أنَّ للفلسفة الإسلامية كيانًا خاصًّا يُميِّزها عن

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ٣ص (٢١-٢٢).

(٢) المرجع السابق ص (٢١-٢٢).

مذهب أرسطو ومذاهب مُفسِّريه: فإن فيها عناصر مُستمَدَّة من مذاهب يونانية غير مذهب أرسطو، وفيها عناصر ليست يونانية من الآراء الهندية والفارسية ...إلخ، ثم إنَّ فيها ثمرات من عبقرية أهلها ظهرت في تأليف نَسَق فلسفي قائم على أساس من مذهب أرسطو، مع تلافي ما في هذا المذهب من النقص باختيار آراء من مذاهب أخرى وبالتخريج والابتكار، وظهرت أيضًا في أبحاثهم في الصلة بين الدين والفلسفة، ويقول وُلْف:

على أنَّه من الخطأ أن يُظَن أنَّ الفلسفة العربية هي نسخة منقولة عن مذاهب المشائية. ثم يقول: وبهذه المثابة انتهى العرب إلى نسق فلسفي فريد في بابه، يوفق بين مقالات مُتخالفة. ويقول أيضًا: وعلى كل حال، فليس ينبغي أن يعزب عن البال أنَّ فلاسفة العرب نَحَوْا في البحث عن الوجود منحًى مُستقلًّا، غير تابع لتعلقهم بالقرآن ولعل جهود الباحثين ستكشف عن وجوه بديعة من الفلسفة الإسلامية لمَّا تزل خافية.

(ب) تلاشى القول بأنَّ الإسلام وكتابه المقدس كانا بطبيعتهما سجنًا لحرية العقل، وعقبة في سبيل نهوض الفلسفة أو كاد يتلاشى، ووجد مَن يقول ما يقوله الأستاذ (بيكافيه) إذا قارنَّا بين المؤلَّفات التي قرأها المسيحيون الغربيون والمؤلفات التي كانت في متناول العرب، عرفنا أنَّ هؤلاء ينبغي أن يكونوا أدنى إلى الإبداع، فقد تميزوا بفضل معارفهم التي نسقوها، فكانوا في القرن الثالث عشر أساتذة أولئك، فعاونوا على تأسيس الفلسفة الكاثوليكية والكلام الكاثوليكي بما نقلوا عن القدماء وبما ولدتْه أفكارهم.

(ج) أصبح لفظ الفلسفة الإسلامية أو العربية شاملًا، كما بيَّنه الأستاذ هورتن، لما يُسمى فلسفة أو حكمة ولمباحث علم الكلام، وقد اشتدَّ الميل إلى اعتبار التصوُّف أيضًا من شعب هذه الفلسفة، خصوصًا في العهد الأخير الذي عُني فيه المستشرقون بدراسة التصوُّف. ويَعُدُّ الأستاذ ماسينيون من متصوفة الإسلام الكِنْدي والفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة في كتابه المُسمى مجموع

نصوص لم تُنشَر متعلِّقة بتاريخ التصوُّف في بلاد الإسلام."[١]

وأخيرا فان الفلسفة الإسلامية مرت بالأطوار التي مرت بها أي فلسفة، وليس هناك مذهب فلسفي قائما بنفسه دون الاعتماد على ما سبقه.

ولا يسعنا إلا القول بان العصر الذي قامت فيه هذه الدعاوى العنصرية قد انقضى وأثبتت الدراسات عن يقين وجود دراسات فلسفية ذات شأن في العالم الإسلامي وما زال بعضها لم يكشف عنه النقاب بعد.[٢]

ويلخص الشيخ مصطفى عبد الرازق رأيه في هذه المسألة بقوله: " والعوامل الأجنبية المؤثرة في الفكر الإسلامي وتطوره، مهما يكن من شأنها فهي أحداث طارئة عليه صادفته شيئًا قائمًا بنفسه، فاتصلت به لم تخلقه من عدم، وكان بينهما تمازج أو تدافع، لكنها على كل حال لم تمح جوهره محوًا"[٣]

من خلال ما سبق يمكن نلخص منهج الشيخ مصطفى عبد الرازق في الرد على المستشرقين في نفيهم الأصالة عن الفكر الإسلامي في مجال الفلسفة، فقد وضع الشيخ لنفسه خطة منهجية دقيقة سار عليها تلاميذه من بعده تهدف إلى ما يأتي:

"اولا: الدفاع عن العقلية العربية ضد النظريات المتعصبة للجنس والهُوية.

ثانيا: تقويم آراء المستشرقين وتصحيح الأخطاء الواردة في كتاباتهم وذلك بعد ترجمتها والتعليق عليها.

ثالثا: مناقشة قضايا الفلسفة الإسلامية بداية من مشكلة التسمية وتحديد مباحثها ونهاية بالحكم على نتاجها الفكري للكشف عن مدى أصالتها ومساهمتها في تطور الحضارة الإنسانية.

رابعا: كتابة الأبحاث الأكاديمية حول فلاسفة الإسلام وإسهاماتهم في شتى مباحث التفكير الفلسفي

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق ص (٣٠-٣٢) بتصرف.

(٢) دراسات فلسفية في المشرق الإسلامي د/ عبدالعزيز تمام ص٣٩ وما بعدها .

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ص ٩٥ ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م .

خامسا: تبسيط المعارف الفلسفية وذلك عن طريق المقالات الصحفية أو الكتيبات التي كانت تصدرها المؤسسات الكبرى (كتاب الهلال، كتابي، اقرا، المكتبة الثقافية ."[١]

وهكذا بنى الشيخ منهجه في الرد على المستشرقين على قرع الحجة بالحجة دون تعصب أو تشكك متخذًا من العلم وأدلته سبيلا للنقاش والاقناع.

"إن الدراسات الاستشراقية الجادة لم تصطبغ بصبغة علمية إلا في منتصف القرن التاسع عشر، فلم يكن الهدف في بداية الأمر من الاستشراق سوى التشكيك في الإسلام ومساندة التبشير المسيحي، وتعد "دائرة المعارف الإسلامية"[٢] من أعظم وأشهر ما كتبه المستشرقون عن الحضارة الإسلامية وتاريخها وعومها وفلسفتها ومناهجها ولغتها، وإن كانت لا تخلو من بعض التشويش والأخطاء المقصودة في الغالب وغير المقصودة في السير النادر، وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق من المهتمين بترجمتها إلى اللغة العربية ، لتصحيح ما فيها من أخطاء وقام بنفسه بالتعليق على مادتي: (الإسلام والتصوف) وقد شجع القائمين على ترجمتها، حيث كتب إلى القائمين بالترجمة " لقد همت من قبلكم طائفة من أهل العلم أن تعرب هذا الأثر العظيم فتخاذلت هممهم دونه، أما أنتم فيسعدكم شباب في عنفوانه، وشوق إلى الدرس والمجد، يمده الزكاء ويمده الأمل، ويمده فوق ذلك كله الإخلاص في العلم و الإخلاص في العمل"[٣]

---

(١) الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ١ ص ١١٨-١١٩ تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٢) ظهرت لأول مرة عام١٩١٣م بلغات ثلاثة هي الألمانية والانجليزية والفرنسية وكان الشيخ مصطفى عبدالرازق من المهتمين بترجمتها إلى اللغة العربية .

(٣) مقدمة كتاب الإسلام والتصوف لويس ماسينيوس ومصطفى عبدالرازق كتبها د إبراهيم خورشيد ص ٤ ط دار الشعب القاهرة ١٩٧٩م .

ليس هناك شك في أهمية ما كتبه الشيخ في بيان أصالة الفكر الإسلامي عامة والفلسفة الإسلامية خاصة فلا توجد دراسة جادة عن الفكر الإسلامي وفلاسفته تخلو من كلام الشيخ مستشهدة بآرائه مستشهدة بوجهة نظره، فهو بحق أول من وجه دراسة الفلسفة الإسلامية إلى وجهتها الصحيحة، وهو كذلك أول من وضع منهجًا علميًا لدراسة مصادرها وشعبها، وهو أول من أحيا الدراسات الفلسفية عامة في مصر والعالم العربي في العصر الحديث، فهو بحق رائد الدراسات الفلسفية في مصر والعالم العربي في العصر الحديث.

وخلاصة القول في ذلك أن "عربت مباحث الفلاسفة اليونان خصوصًا أرسطو طاليس وأفلاطون والإسكندريين أصحاب المذهب المسمى بالأفلاطونية الجديدة، وتناول المسلمون هذه المباحث وتلك المؤلفات بالشرح والتأويل والتوفيق بين مختلف المذاهب أحيانًا، وتوصلوا إلى إيجاد نسق من البحث الفكري يؤدى إلى فهم العالم باعتبار وجوده وصدوره عن موجده، وهذا النسق من البحث هو باعتراف كثير من مؤلفي الغربيين ومؤلفي العرب، قد تلافى عيوب النسق الأرسطاطاليسى، وإن كان يقوم على أساس القواعد التي وضعها أرسطاطاليس للتفكير، وعلى وجهة البحث التي اتجه إليها المفكرون اليونانيون.

فالفلسفة الإسلامية بمعناها الضيق هي عبارة عن مجهود المفكرين الإسلاميين في دائرة البحوث اليونانية، ومع اختلاف الباحثين في تقدير ما لهذا المجهود من ثمرة من ناحية الابتداع الذي يجعل للفلسفة الإسلامية كيانًا ممتازًا عن الفلسفة اليونانية، فإنهم متفقون على أن هذا المجهود كان عظيمًا في اتساعه عظيمًا في تعمقه"[1].

(١) مقال بعنوان (الفلسفة الإسلامية في ضوء النهضة الحديثة) حوار مع طاهر الطناحي، مجلة الهلال العدد٦ ٤/ ١٦٣١م مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ٢ص (٢٥٥-٢٥٦) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩ .

المطلب الثاني: هجوم المستشرقين على التصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه:

لقد اهتم الشيخ مصطفى عبد الرازق " بتوضيح حقيقة التصوف الإسلامي الذي أعده سلوكًا ورياضة روحية ومجاهدة للنفس تعمل على السمو بالأخلاق التي حث عليها الإسلام، ونجح على برهنته على أن أصول التصوف المتمثلة في طور الزهد إسلامية خالصة، وإن كان لم ينكر تأثرها بالثقافات المختلفة في مراحلها المتأخرة شأنها في ذلك شأن علم الكلام"[١]

وللشيخ مؤلف في التصوف وبالمشاركة مع المستشرق ماسينيوس[٢] يسمى (الإسلام والتصوف) كتب فيه ماسينيوس مقالًا ورد عليه الشيخ بمقال عارض فيه ما ذهب إليه "لويس ماسينيوس" حيال الأصل التاريخي لظهور كلمة (تصوف) حين زعم أن لفظة صوفي لم يعر فها المسلمون العرب إلا في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي حيث قال:" وورد لفظ (الصوفي) لقبًا مفردًا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ نعت به جابر بن حيّان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي المتصوف المشهور"[٣]

---

(١) الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق جـ١ ص ١٢١ تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٢) لويس ماسينوس الفرنسى، ولد في تيجان على المار في إحدى ضواحى باريس، حصل على ليسانس الآداب سنة ١٩٠٢ ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب بعد زيارته لها سنة ١٩٠٤، زار عدداً من بلاد الشرق منها مصر والجزائر والمغرب والقدس وبيروت ودمشق. آثاره تربو على ٦٥٠ أثراً بين مصنف ومحقق ومترجم. توفى في عام اثنين وستين وتسعمائة وألف. [المستشرقون لنجيب العقيقى جـ١ ص٢٦٤،٢٦٣].

(٣) الإسلام والتصوف بقلم لويس ماسينيوس ومصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ١ ص (٣٩٣) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

رد الشيخ مصطفى على عبد الرازق على كلام ماسينيوس بالرجوع كعادته إلى ما كتبه علماء الإسلام حول المسألة، فذهب إلى أن التصوف كان معروفًا عند المسلمين قبل القرن الثاني الهجري وشاع وانتشر بعده، بل إن البعض يعود به إلى العصر الجاهلي، وكان يطلق على أهل الفضل والصلاح، مستندًا في ذلك على ما ذكره ابن خلدون[١] في مقدمته حيث قال: " هذا العلم (التصوف) من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[٢].

ويضيف الشيخ مصطفى عبد الرازق "أن هذا الاسم معروف في الملة الإسلامية من قبل ذلك، بل يذهب بعضهم إلى أنه لفظ جاهلي عرفته العرب قبل ظهور الإسلام"[٣]، وينقل عن السراج

---

(١) ولى الدين أبو يزيد عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر الحضرمي الإشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون ولد يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ونشأ بها وطلب العلم وبرع في العلوم وتقدم في الفنون . توفى وهو قاض فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة وله ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يومًا [شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد المجلد التاسع ص٧٦، ٧٧ ط دار الفكر بدون تاريخ].

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥١٧ ط المكتبة التوفيقية القاهرة بدون تاريخ.

(٣) الإسلام والتصوف بقلم لويس ماسينيوس ومصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ١ص (٤٠٥).

الطوسي[١] قوله: "أما قول القائل إنه (أي التصوف) اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال لأن في وقت الحسن البصري[٢] -رحمه الله- كان يُعرف هذا الاسم. وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وقد روى عنه أنه قال: رأيت صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال معي أربعة دوانيق[٣] فيكفيني ما معي.

ورُوى عن "سفيان الثوري"[٤] -رحمه الله- أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر في الكتاب الذي جمع أخبار مكة، عن "محمد بن اسحاق بن يسار"[٥] وعن غيره

---

(١) أبو نصر السراج عبدالله بن على الطوسى، الزاهد شيخ الصوفية وصاحب كتاب اللمع في التصوف. قال الذهبي "كان المنظور إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم مع الاستظهار بعلم الشريعة" توفى في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. [شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد مجلد ٣ ص٩١ ط دار الفكر بدون تاريخ].

(٢) الحسن بن أبى الحسن البصري، يكنى بأبي سعيد وكان أبوه من أهل بيسان فهو مولى الأنصار ولد في خلافة عمر وحنّكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه فكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك. كان يغلب عليه الخوف فكأن النار لم تخلق إلا له. توفى سنة عشر ومائة [صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق أيمن صالح شعبان، المجلد الأول ص١٦٢-١٦٤، ط المكتبة التوفيقية بدون تاريخ].

(٣) كلمة فارسية مفردها دانق وتعنى سدس الدرهم.

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. ولد سنة سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة ثم خرج منها إلى البصرة في سنة خمس وخمسين ومائة وكانوا يسمونه أمير المؤمنين. في الحديث كان -رضى الله عنه- عالم الأمة وعابدها وزاهدها. توفى بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة [الطبقات الكبرى للشعراني جـ١ ص٨٢، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة بدون تاريخ].

(٥) محمد بن اسحاق بن يسار، صاحب السيرة النبوية التى جمعها وجعلها علمًا يهتدى به وفخراً يستجلى به والناس كلهم عيال عليه في ذلك. توفى في سنة إحدى وخمسين ومائة. [البداية والنهاية لابن كثير جـ١٠ ص١٢٥، ط دار التقوى، ط الأولى سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م].

يذكر فيه حديثًا أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد وكان يجئ من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح"[١]

ويختم الشيخ رده على ماسينيون بقوله:" فاستعمال لفظ صوفي ومتصوف لم ينتشر في الإسلام إلا في القرن الثاني الهجري وما بعده سواءً أكان هذا التعبير عن الزاهد بالصوفي حدث في أثناء المائة الثانية كما هو رأى ابن خلدون في مقدمته، أم كان هذا التعبير معروفًا في الإسلام قبل القرن الثاني، أم كان لفظًا جاهليًا على ما ذكره صاحب "اللمع" الذي يحاول أن يبرئ الصوفية من انتحال اسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون"[٢].

كما خالف الشيخ مصطفى عبد الرازق المستشرق ماسينيوس فيما أورده عن سيرة (رابعة العدوية)[٣] إذا زعم أنها بدأت حياتها سافرة هائمة بين عشق وفجور، وأنها تزوجت من أبى عبيدة عبدالواحد بن زيد، وذكر أن والى البصرة خطبها، وكانت تلوم رباح في حبه للأطفال بحجة أنه ليس هناك مكان في القلب لأحد سوى الخالق ﷻ. ويرد الشيخ على كل ذلك بقوله:" هذا وقد ذكر ماسينيون في مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام أن رابعة خطبها أبو عبيدة عبدالواحد بن زيد مع علو شأنها فهجرته أيامًا حتى شفع له إليها إخوانه، فلما دخل عليها قالت له:

---

(١) السراج الطوسي، اللمع ص٤٢، ٤٣، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د/ عبدالحليم محمود، طه عبدالباقى سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط الأولى سنة ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

(٢) الإسلام والتصوف بقلم لويس ماسينيوس ومصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ١ص (٤٠٦).

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، اشتهرت بالزهد والعبادة لقبها ابن خلكان بأم الخير وهي من مشاهير الصوفية. توفيت عام خمسة وثمانين ومائة بالقدس الشريف، وقبرها شرقية بالطور [البداية والنهاية جـ١٠ ص٢١٣].

يا شهواني أطلب شهوانية مثلك، وذكر في كتابه في اصطلاحات الصوفية أن والى البصرة خطبها، وما أظن أن والى البصـرة أو عبد الواحد بن زيد كان يرضـى أن يخطب امرأة كانت تشـرب الخمر في السفن النيلية وتغنى للندمان. وليس فيما بين أيدينا من المراجع ما يدل على أن رابعة العدوية كانت متزوجة، بل المأخوذ من الروايات عن حياتها أنها كانت بعبادتها وحبها لله في شـغل عن الزواج والولد وقد ردت من خطبها"[١]

ويصحح الشيخ مصطفى عبد الرازق ما وقع فيه ماسينيون من أن رابعة عابت على رباح حبه للأطفال بحجة أن القلب لابد أن يكون فارغا من كل شيء الا من الله فيقول:" وفى مجموع الأستاذ ماسينيوس : وفى غيره: نظرت رابعة إلى رباح وهو يقبل صبيًا من أهل ويضمه إليه فقالت: أتحبه؟ قال: نعم. قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعًا فارغًا لمحبة غيره تبارك اسمه. قال: فصرخ رباح وسقط مغشيًا عليه. ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ويقول: رحمة منه تعالى بكم ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

ويعلق الشيخ على هذه الرواية بقوله: وليس من شأن زوجة أو والدة مهما بلغ بها التصوف أن تنكر الحنو على الأطفال"[٢]

وذهب كثير من المستشرقين إلى أن مصدر التصوف خارج عن الإسلام وإنه وجد تحت تأثير عوامل أجنبية ولا دخل للدين الإسلامي في نشأته، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم. ففريق يرى أن مصدر التصوف فارسي، وآخر يرى أنه هندي، وفريق ثالث يرى أنه يوناني، ورابع يرى أنه مسيحي.

ويدفع الشيخ مصطفى عبد الرازق هذه الاتهامات بقوله: " وكثرت أسماء هذا العلم فسمى:

---

(١) الإسلام والتصوف بقلم لويس ماسينيوس و مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ ١ ص (٤٣٤-٤٣٥).

(٢) المرجع السابق ص (٤٣٥).

علم القلوب، وعلم الأســرار، وعلم المعارف، وعلم الباطن، وعلم الأحوال والمقامات، وعلم السلوك، وعلم الطريقة.

وإذا كان غير منكور أن التصوف في هذا الدور لم يخل من تأثر ببعض ما وصل المسلمين من معارف الأمم القديمة، فإننا لا نـزال نجد الصبغة الإسلامية غالبة في هذا العلم الوليد، ولا نستطيع أن نقول مع (جولد سيهر): " وكذلك يجب عند النظر في التصوف نظرًا تاريخيًا تقدير النصيب الهندي الذي ساهم في تكوين هذه الطريقة الدينية المتولدة من المذهب الأفلاطوني الجديد"[١]

لقد تتبع الشيخ مراحل التصوف الإسلامي وبيَّن ان التصوف في أطواره الأولى كان إسلاميًا بحتًا، وعلى حد تعبير الشيخ "لا نزال نجد الصبغة الإسلامية غالبة في هذا العلم الوليد" ويرفض الشيخ ما نادى به المستشرق المجرى (جولد سيهر) من إفساح المجال للعنصر الهندي و الأفلاطوني الحديث في نشأة التصوف، مع اعترافه بتسلل العنصر الأجنبي إلى التصوف لكن في أطواره الأخيرة.

وإن المطالع لكتابات تلاميذ الشيخ ليجد أن روح الدفاع عن التصوف منتشرة في كتابات د. علي سامى النشار[٢] ود. أبوالوفا التفتازانى[٣] و د. محمد مصطفى حلمي[٤]. فهم امتداد لعطاء الشيخ ودفاعه عن كل ما هو إسلامي ضد حملات المستشرقين.

(١) التصوف الإسلامي وما مر به من أطوار مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـــ ٢ص ٢٣ تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامي النشار ط دار المعارف مصر بدون تاريخ.

(٣) مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبوالوفا التفتازاني ط دار الثقافة للنشر والتوزيع ط الثالثة بدون تاريخ.

(٤) الحياة الروحية في الإسلام د/ محمد مصطفى حلمي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط الثانية ١٩٨٤م .

المطلب الثالث: شعب الفكر الإسلامي كما يراها الشيخ مصطفى عبد الرازق.

إنه يرى أنه من الظلم للفكر الإسلامي حصره في الفلسفة المشائية أعنى فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وابن طفيل وابن رشد وإنما يرى أن للفلسفة الإسلامية شعب أخرى كعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه.

وفى هذا المعنى يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق:

" وجُملة القول أنَّ المتكلمين متفقون على أنَّ علم الكلام يعتمد على النظر العقلي في أمر العقائد الدينية، ثم هم يختلفون في أنَّ الكلام يثبت العقائد الدينية بالبراهين العقلية كما يدافع عنها، أو هو إنما يدفع الشبه عن العقائد الإيمانية الثابتة بالكتاب والسنة، وهذا الخلاف يرجع إلى الخلاف في أنَّ العقائد الإيمانية ثابتة بالشرع، وإنما يفهمها العقل عن الشرع، ويلتمس لها بعد ذلك البراهين النظرية أو هي ثابتة بالعقل على معنى أنَّ النصوص الدينية قررت العقائد الدينية بأدلتها العقلية.

وقد أشار إلى ذلك فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م عند تفسيره للآيتين (١٩-٢٠) من سورة «البقرة » فقال: إنَّ الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأمَّا البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عَبَدة الأوثان وأصناف المشركين، وبعد أن ذكر معاقد الدلائل في القرآن؛ مِمَّا يدلُّ على وجود الصانع وعلى صفاته وعلى النبوة والمعاد قال: وأنت لو فتشتَ علم الكلام لم تجد فيه إلا تقدير هذه الدلائل والذبَّ عنها، ودفعَ المطاعن والشبهات القادحة فيها.

وقال بعد ذلك: وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل، وقد ذكر الفخر الرَّازي في ذلك المقام رأي المُخالفين القائلين بأنَّ الكلام بدعة، وأنه مذموم نهى عنه الدِّين وأنكره السلف، وبَسَطَ أدلة الفريقين، وستكون

لنا فرصة للموازنة بين الرأيين عند الكلام في تاريخ البحث في العقائد الدينية عند المسلمين"[١].

ويقول في مكان آخر: " لكن الباحثين -خصوصًا في العهود الأخيرة- يريدون أن يتسع معنى الفلسفة لكل بحث، ويتصل بالوجود ونشأته وما فيه من نظام وترتيب، سواء أكان هذا البحث معتمدًا على العقل وحده، كما هو الشأن في الفلسفة اليونانية، أم على العقل والوحي معا، ومن أجل ذلك أدخلوا علم الكلام(التوحيد) في الفلسفة الإسلامية، باعتبار ما فيه من بحث عن الأمور العامة، وموجد الكائنات واتصالها به إلى آخره.

والواقع أنه إذا أخذ بهذا التوسع في معنى الحكمة أو الفلسفة شملت الفلسفة الإسلامية أيضًا علم التصوف، بل شملت أيضًا علم أصول الفقه.

والفلسفة الإسلامية على هذا الاعتبار لا يمكن أن يقال إنها مجهود العلماء الإسلاميين في دائرة التفكير اليوناني، بل هي هيكل خاص له مميزاته وخصائصه، ومهما يكن من أثر الفلسفة اليونانية فيه وغير الفلسفة اليونانية، فإن له حظًا عظيمًا من الشخصية والابتكار"[٢].

وخلاصة رأى الشيخ مصطفى عبد الرازق في مسألة شعب الفكر الإسلامي اعلنها الشيخ بقوله: "رأيٌ فيما تشمله الفلسفة الإسلامية وعندي أنه إذا كان لعلم الكلام ولعلم التصوُّف من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملًا لهما فإنَّ علم أصول الفقه المُسَمَّى أيضًا علم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق جـ ٣ص (٢٦٥-٢٦٧).

(٢) مقال بعنوان (الفلسفة الإسلامية في ضوء النهضة الحديثة) حوار مع طاهر الطناحي، مجلة الهلال العدد٦ /٤ ١٦٣١م مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق جـ ٢ص (٢٥٦) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام، بل إنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاثًا يسمونها مبادئ كلامية هي من مباحث علم الكلام، وأظنُّ أن التوسُّع في دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية سينتهي إلى ضم هذا العلم إلى شُعَبها"[١]

لقد استطاع تلاميذ الشيخ من بعده تدعيم آرائه وتأكيد صدق وجهته، وفى هذا يقول د. أبوالوفا التفتازاني:

" وكانت مثل هذه الآراء تعد فتحًا جديدًا في دراسات الفلسفة الإسلامية، ولا شك أنها حددت خط السير لتلاميذه، ودفعتهم إلى مزيد من التعمق في دراسة الفكر الإسلامي، لاكتشاف ما فيه من أوجه الأصالة، ودفعتهم كذلك إلى القيام برسالة الإحياء للتراث، فنشروا قدرًا لا يستهان به من المخطوطات لفلاسفة الإسلام ومتكلميه وصوفيته، كما أنهم قاموا بدراسات علمية جادة لعديد من شخصيات الفلسفة الإسلامية، ومذاهب مجهولة أو شبه مجهولة، وتنبوا إلى ضرورة مناقشة المستشرقين فيما يذهبون إليه من آراء فلا تقبل على علتها"[٢].

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبدالرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ٣ص (٣٢) تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

(٢) مصطفى عبدالرازق مفكرًا وأديبًا ومصلحًا ، د/ أبوالوفا التفتازانى مقال في الكتاب التذكارى ص٥٠ وانظر كذلك الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبدالرازق جـ١ ص ١٢١ تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

الخاتمــة

(نسأل الله حسنها)

بعد البحث والاجتهاد بقدر الطاقة في موضـوع " جهود الشـيخ الأكبر مصـطفى عبد الرازق في الرد على المستشرقين وبيان أصالة الفكر الإسلامي" توصلت إلى نتائج أهمها ما يأتي:

أولاً: تبين من خلال الدراسة أن الحياة الدنيا صراعًا دائمًا بين الأخيار والأشرار، ونزاعًا موصولًا بين الأبرار والفجار، ولولا أن الله- تعالى- يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب، لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس.

ثانياً: أظهرت الدراسة أن العلم والتفقه في الدين وسيلة للجهاد بالحجة والبرهان، وهو الركن الركين في الدعوة إلى الإيمان وإقامة دعائم الإسلام، ولم يشرع جهاد السيف إلا ليكون حماية وسياجا لتلك الدعوة من أن تلعب بها أيدي المعتدين من الكافرين والمنافقين، فالجهاد بالعلم والكلمة والفكر لا يقل عن الجهاد بالسيف والسلاح لأن حرب الكلمة والفكر أشد خطرًا وأعظم أثرًا.

ثالثاً: توصلت الدراسة إلى أن الشيخ مصطفى عبد الرازق يعد بحق مجدد الفلسفة الإسلامية في العصر الحديث، وصاحب أول تاريخ لها بالعربية، ومؤسس المدرسة الفلسفية العربية، لأنه القى الضوء على تطور الفكر الفلسفي الإسلامي، موضحًا روافده ومنابعه والأطوار التي مرت به ومقومًا آراء المستشرقين حياله ومحددًا مباحث الفلسفة الإسلامية.

رابعا: أظهرت الدراسة أن بعض المستشرقين حاول أن يظهر الإسلام على أنه دين يفرض على أتباعه طاعة عمياء وخضوع واستسلام بطريقة لاإرادية تفرض نفسها على الإنسان، فيخضع لإرادة قاهرة دون حرية واختيار، فخضوعه لها عن طريق التبعية والقهر لا على سبيل الحرية والاختيار، وهذا يتنافى مع جوهر الإسلام وحقيقته، فهو يعلى من شأن حرية الإنسان واختياره فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

خامساً: توصلت الدراسة إلى المعنى الحقيقي للإسلام الذي يتفق مع قواعد اللغة واستخدم القرآن الكريم للكلمة هو: التوحيد وإخلاص النفس لله وحده لا يكون فيها لغيره شريك يعبد ويسمى إلهًا، وهو معنى مولد من المعنى اللغوي الذي هو الخلوص والسلامة.

سادساً: أظهرت الدراسة أن المستشرقين غلب على كثير منهم طابع التعصب الديني أو التعصب الجنسي فراحوا جاهدين بسببه يحاولون نفى الأصالة الإسلامية عن كل إنتاج عقلي أو تفكير فلسفي أو تأمل روحي لدى المسلمين، مدعين انه لا دخل للدين الإسلامي في نشأته، وكأن المسلمين ليسوا من البشر وليس لهم من الخصائص العقلية والتأملات الروحية ما لغيرهم من الشعوب الأخرى.

سابعاً: ظهر من خلال الدراسة أن الشيخ مصطفى عبد الرازق سلك مسلكًا رشيدًا في الرد على دعاوى المستشرقين بناه على قرع الحجة بالحجة دون تعصب أو تشكك متخذًا من العلم وأدلته سبيلا للنقاش والاقناع.

ثامناً: وضع الشيخ مصطفى عبد الرازق لنفسه خطة منهجية دقيقة سار عليها تلاميذه من بعده في الرد على المستشرقين في نفيهم الأصالة عن الفكر الإسلامي تهدف إلى ما يأتي:

(أ) الدفاع عن العقلية العربية ضد النظريات المتعصبة للجنس والهُوية.

(ب) تقويم آراء المستشرقين وتصحيح الأخطاء الواردة في كتاباتهم وذلك بعد ترجمتها والتعليق عليها.

(جـ) مناقشة قضايا الفلسفة الإسلامية بداية من مشكلة التسمية وتحديد مباحثها ونهاية بالحكم على نتاجها الفكري للكشف عن مدى أصالتها ومساهمتها في تطور الحضارة الإنسانية.

(د) كتابة الأبحاث الأكاديمية حول فلاسفة الإسلام وإسهاماتهم في شتى مباحث التفكير الفلسفي.

(هـ) تبسيط المعارف الفلسفية وذلك عن طريق المقالات الصحفية أو الكتيبات التي كانت تصدرها المؤسسات الكبرى (كتاب الهلال، كتابي، اقرا، المكتبة الثقافية).

تاسعاً: تَبَيّن من خلال الدراسة أن الشيخ مصطفى عبد الرازق يرى ان الفكر الإسلامي لا يقتصر على الفلسفة المشائية وإنما يتناول علم الكلام وعلم التصوُّف فلهما من الصلة بالفلسفة ما يسوغ جعل اللفظ شاملًا لهما فإنَّ علم أصول الفقه المُسَمَّى أيضًا علم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام، بل إنك لترى في كتب أصول الفقه أبحاثًا يسمونها مبادئ كلامية هي من مباحث علم الكلام، وأظنُّ أن التوسُّع في دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية سينتهي إلى ضم هذا العلم إلى شُعَبها.

عاشراً: حبا الله ﷻ الشيخ مصطفى عبد الرازق بخصال عظيمة مكنته من القيام بمهمة الدفاع عن الفكر الإسلامي أمام هجمات المستشرقين العاتية التي حاولت النيل من الإسلام من هذه الخصال حب العلم وطلابه المخلصين، الوفاء للعلم وطلابه، والبر بطلاب العلم خاصة، وبكل من كان يحتاج إلى البر عامة.

حادي عشر: من أهم ما توصلت إليه من خلال البحث أن العوامل الأجنبية المؤثرة في الفكر الإسلامي وتطوره، مهما يكن من شأنها فهي أحداث طارئة عليه صادفته شيئًا قائمًا بنفسه، فاتصلت به لم تخلقه من عدم، وكان بينهما تمازج أو تدافع، لكنها على كل حال لم تمح جوهره محوًا.

التوصيات: يوصى البحث بضرورة الحرص على غرس القيم الدينية والأخلاقية والوطنية في الأبناء وتنشئتهم على الفضائل الأخلاقية سلوكًا وعملًا من خلال دراسة مواقف مشايخ الأزهر الشريف تجاه قضايا أمتهم.

المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم وكتب التفسير.

١-القرآن الكريم جل من أنزله.

٢-التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى يناير ١٩٩٧

٣-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ط دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ

٤-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبدالباقى ط دار الحديث بالقاهرة ط الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٥-تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

٦-تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط المكتبة الملكية ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

٧-جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري تحقيق أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)

٨-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ

ثانياً: كتب الحديث والتخريج.

٩- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري شهاب الدين القسطلاني المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ

١٠-الأربعون النووية وشرحها محيى الدين يحيى النووى ط دار المنار القاهرة ١٩٩٩ .

١١-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ المنذري ط دار الحديث القاهرة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٢-الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام السيوطي ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٠هـن ١٩٩٠م.

١٣-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للمستشرق فنسك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث القاهرة.

١٤-الموطأ للإمام مالك بن أنس صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقى ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ.

١٥-جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلى ط دار المنار القاهرة ط الأولى ١٩٩٦م.

١٦-رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ط دار الشعب ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

١٧-سنن أبى داود ط دار الحديث القاهرة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٨-سنن ابن ماجه صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقى ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ.

١٩-سنن النسائي شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ط دار الحديث القاهرة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٠-سنن الترمذي ط دار الفجر للتراث -القاهرة سنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٢١-شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد تحقيق محمد عوض هيكل ط دار السلام القاهرة الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٢-صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤١٤هـ، شعيب الأرناؤوط.

٢٣-صحيح البخاري ط دار طوق النجاة الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٢٤-صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ.

٢٥-صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ط دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ.

٢٦-مسند أبى يعل الموصلى ط دار المأمون للتراث ط الأولى ١٤٠٤هـ" تحقيق حسن سليم أسد.

٢٧-مسند الإمام أحمد تحقق: أحمد محمد شاكر ط دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

ثالثاً: كتب اللغة والمعاجم.

٢٨-الاشتقاق أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ط دار الجيل، بيروت لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٢٩-القاموس المحيط الفيروزآبادى ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٠-الكليات معجم مصطلحات الفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣١-المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على الفيومى المقرىء ط مكتبة لبنان سنة ١٩٩٠م.

٣٢-المعجم الوجيز من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط الأولى سنة ١٤٠٠هـ سنة ١٩٨٠م.

٣٣-المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط دار الدعوة بدون تاريخ.

٣٤-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

٣٥-النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ط المكتبة العلمية بيروت.

٣٦-تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزَّبيدي ط دار الهداية بدون تاريخ.

٣٧-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم التهانوي تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ط مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٨-لسان العرب لابن منظور ط دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.

رابعا : العقيدة والفلسفة والأخلاق والتصوف.

٣٩-إحياء علوم الدين للغزالي ط دار الشعب بدون تاريخ.

٤٠-إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤١-الإبانة عن أصول الديانة أبو الحسن الأشعري المحقق: د. فوقية حسين محمود ط دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى١٣٩٧ هـ.

٤٢-التعريفات للشريف الجرجاني ط المكتبة التوفيقية الطبعة الأولى ٢٠١٣ م.

٤٣-الحياة الروحية في الإسلام د/ محمد مصطفى حلمى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط الثانية ١٩٨٤م .

٤٤-اللمع السراج الطوسى، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د/ عبدالحليم محمود، طه عبدالباقى سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط الأولى سنة ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م

٤٥-دراسات فلسفية في المشرق الإسلامي د/ عبد العزيز تمام ط دار الطباعة المحمدية ط الأولى ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٤٦-كتاب حجج القرآن من تأليف أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي حققه أحمد عمر المحمصاني الأزهري ط دار الرائد العربي – لبنان الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٤٧-(كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري الحنفي ط دار الكتاب الإسلامي بدون تاريخ)

٤٨-مختصر جامع بيان العلم وفضله وما يجب في روايته وحمله. لابن عبد البر. اختصره الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي. "مطبعة الموسوعات". الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠هـ

٤٩-مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبوالوفا التفتازانى ط دار الثقافة للنشر والتوزيع ط الثالثة بدون تاريخ.

٥٠-مقدمة ابن خلدون ط المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.

٥١-مقدمة كتاب الإسلام والتصوف لويس ماسينيوس ومصطفى عبد الرازق كتبها د إبراهيم خورشيد ص ٤ ط دار الشعب القاهرة ١٩٧٩م.

٥٢-مقومات الإسلام لشيخ الأزهر الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٤٢هـ مايو/ يونيو ٢٠٢١م.

٥٣-نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د/ على سامي النشار ط دار المعارف مصر بدون تاريخ.

خامسًا: كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق.

٥٤-أعلام الإسلام ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩ .

٥٥-أشتات مجمعة لتصانيف موقعة جمعها دعصمت نصار ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٥٦-الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٥٧-أهم حادث أثر في مجرى حياتي مصطفى عبد الرازق مقال في مجلة الهلال ع٦،٤/ ١٩٣٠م ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٥٨-آثار مصطفى عبد الرازق صدرها بنبذه عن تاريخ حياته شقيقه على عبد الرازق ومقدمة بقلم طه حسين ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق الجزء الرابع تحقيق ودراسة د.عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة طبع بمطابع دار المعارف

٥٩-التصوف الإسلامي وما مر به من أطوار مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٦٠-الإسلام والتصوف بقلم لويس ماسينيوس و مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩

٦١-الدين والوحي والإسلام الرازق ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م .

٦٢-الدين والوحي والإسلام مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٦٣-الشافعي واضع علم أصول الفقه للشيخ مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٦٤-تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ط مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ

٦٥-تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق ط مؤسسة هنداوي الطبعة الأولى ٢٠٢١م

٦٦-تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

٦٧-مقال بعنوان (الفلسفة الإسلامية في ضوء النهضة الحديثة) حوار مع طاهر الطناحى، مجلة الهلال العدد٦ ٤/ ١٦٣١م مصطفى عبد الرازق ضمن الأعمال الكاملة للشيخ مصطفى عبد الرازق تحقيق ودراسة د عصمت نصار ط الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ٢١٦ سنة ٢٠١٩.

سادسًا: التاريخ والتراجم.

٦٨-الأعلام خير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

٦٩-البداية والنهاية لابن كثير ط دار التقوى ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٠-الطبقات الكبرى للشعراني ط المكتبة التوفيقية، القاهرة بدون تاريخ.

٧١-المستشرقون نجيب العقيقي ط دار المعارف مصر ط الرابعة بدون تاريخ.

٧٢-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ط دار الفكر بدون تاريخ.

٧٣-صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق أيمن صالح شعبان ط المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

الملخص ١١٦١

المقدمـــة ١١٦٥

التمهيد: في التعريف بالشيخ مصطفى عبد الرازق ١١٧٠

المبحث الأول: رأى المستشرقين في حقيقة الإسلام وموقف الشيخ منه..... ١١٧٦

الرأي الراجح في العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لكلمة إسلام ١١٨١

المبحث الثاني: هجوم المستشرقين على الشريعة الإسلامية وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق منه. ١١٩٤

وجهة نظر كارا دي فو. ١١٩٦

ملاحظات على كلام كارا دي فو..... ١١٩٨

وجهة نظر جولدزيه ١١٩٩

مذهب ابن القيِّم وابن عبد البر من قبله. ١٢٠٥

نظرة إجمالية. ١٢٠٧

المبحث الثالث: هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه ١٢١١

المطلب الأول: هجوم المستشرقين على الفلسفة الإسلامية وموقف الشيخ منه..... ١٢١١

تلخيص اختلاف الرأي ما بين بداية القرن التاسع عشر ونهايته. ١٢١٩

آراء الغربيين في الفلسفة الإسلامية في القرن الحاضر. ١٢١٩

المطلب الثاني: هجوم المستشرقين على التصوف الإسلامي وموقف الشيخ منه ١٢٢٥

المطلب الثالث: شعب الفكر الإسلامي كما يراها الشيخ مصطفى عبد الرازق.....١٢٣١

الخاتمـــة ١٢٣٤

المراجع والمصادر ١٢٣٧

فهرس الموضوعات ١٢٤٤